مظاهر التغيير في نظام الخلافة
أيام معاوية بن أبي سفيان ونتائجه
(قراءة جديدة في المصادر الإسلامية)

لايكاد يعرف عن معاوية بن أبي سفيان - أثناء ولايته للشام (١٣ -٤١ هـ) أو خلافته للمسلمين (٤١-٦٠هـ) - أنه ركن إلى سكون أو دعة، وإنما كان دائم الهمة والنشاط، يحدد هدفه ويرسم خطته ثم يمضي في عزم لتنفيذ الهدف، سواء كان وصولا إلى منصب الخلافة، أو قياما باصلاحات وفتوحات، أو تدعيماً لمكانة بني أمية، أو غير ذلك من أهداف .

وقد انتهجت هذه الحركة المتواصلة سياسة عملية واقعية، وأنتجت مظاهر متنوعة من التغيير، وبخاصة في نظام الحكم. ولم تكن هذه المظاهر مألوفة من قبل لدى جماهير المسلمين، إذ اختلفت في مجملها عن سياسة عصر الراشدين، وعن وسائله التى اعتمد عليها، والغايات التي كان يطمح إلى تحقيقها، ومن ثم اتخذ هذا الاختلاف سمة التغيير غير المرغوب فيه من جانب الأمة، وأدى إلى حدوث مصادمات مسلحة وغير مسلحة، بين خلفاء معاوية من بني أمية وبين خصومهم من شيعة وخوارج وغيرهم، ممن أنكروا على بني أمية هذه السياسات التى اعتبروها ممارسات سياسية ظالمة يجب مقاومتها، وبالتالي ظهرت حركات معارضة ذات أجنحة مختلفة، لكل منها أهدافها ومصالحها وغايات تسعى - هى الأخرى - إلى تحقيقها، بحيث صار نشاط هذه الحركات وموقف الأمويين منها من أقوى الأسباب التى أدت إلى سقوط خلافة الأمويين في عام ١٣٢هـ .

ولعل من أهم مااستحدثه معاوية من تغييرات-سواء قبل خلافته أم خلالها-ماتعلق بنظام الخلافة؛ ويجدر بنا قبل أن نمضي معه لاستيضاح جوانب هذا التغيير وماترتب عليه من نتائج، أن نستحضرفي الأذهان أهم السوابق التى استقر عليها هذا النظام في عصر الخلفاء الراشدين، الذى أرسيت خلاله مجموعة من التقاليد والسوابق حددت كيفية انتقال السلطة من خليفة إلى آخر. ولعل أهم هذه السوابق مايلي :

أولاً : أن الترشيح لمنصب الخلافة كان يتم على أساس المبدأ الإسلامي " الشورى " الذى اتخذ تطبيقه صورتين يمكن إجمالهما فيما يلي :

١- مايمكن أن نطلق عليه " الانتخاب المباشر " الذى تتولاه إما جماهير الأمة الإسلامية بأسرها، فتختار من تشاء وتضع رأيها موضع التنفيذ بالبيعة لمن تختاره، على النحو الذى تم به اختيار أبي بكر الصديق[1]. وإما أن تتولى هذا الاختيار غالبية الجماهير، مثلما حدث في اختيار عليّ ابن أبي طالب الذى توجهت إليه جماهير المدينة وقالت له :" لانجد اليوم أحداً أحق بهذا الأمر منك "[2]، وبايعته .

٢- أو مايمكن أن نطلق عليه صورا " ديمقراطية مقيدة "، بأن يتولى الخليفة القائم -بناء على تفويض

من الأمـة - ترشيح من يراه أجدر على القيـام بأمر الأمـة بعده، مثلما فـوضت الأمة أبا بكر بقولها: «ياخليفة رسول الله، أنت خيرنا وأعلمنا، فاختر لنا "[٣]، ومثلما فوضت من بعده عمر ابن الخطاب وحثته على أن يستخلف عليهم قائلة له : "ياأمير المؤمنين، لو عهدت عهدا"[٤].

وفي كلتا الحالتين إما أن يرشح الخليفة شخصية محددة، كما رشح أبو بكر عمرَ بن الخطاب، فرضيه المسلمون وأثبتوا خلافته -مثلما يذكر الماوردى- بعهد أبي بكر[٥]. وإما أن يرشح الخليفة جماعة من كبار الشخصيات، يصلح كل منهم لأن يكون خليفة، على أن يترك الأمر لهذه الجماعة لتختار من بينها من ترضاه للخلافة وهو مافعله عمر بن الخطاب[٦].

ثانياً: وأيا ماكانت صورة الترشيح، فإن الأمر يبقى معلقاً على قبول الشخص المرشح للمنصب، لأن الخلافة ليست إلا عقداً طرفاه الخليفة من ناحية، وأهل الحل والعقد من ناحية أخرى . بحيث لاينعقد العقد إلا بترشيح أهل الحل والعقد وقبول من جانب الشخص المرشح [٧].

ثالثاً: وفي كل الحالات، يتولى الترشيح في المرحلة الأولى أهل الحل والعقد، على أساس اختيار أجدر الشخصيات لولاية المنصب، ويتم مايعرف ببيعة الخاصة .

رابعاً: أن يعرض الأمر في مرحلة تالية على جماهير الأمة لتدلي برأيها في الشخص المرشح، وتتم البيعة له فيما يعرف ببيعة العامة، التى تعتبرتصديقا على بيعة الخاصة .

خامساً: فإذا ماتمت بيعة العامة، فعلى الخليفة أن يعلن الحدود العامة والمنهج التفصيلي الذى سيسير عليه، ومدى التزامه به في ضوء الأصول الأولى ، أى : القرآن والسنة، وفي ضوء منهج السابقين أيضاً .

سادساً: رفض مبدأ توريث منصب الخلافة وهو ماعبر عنه ابن حزم بقوله : "ولاخلاف بين أحد من أهل الإسلام في أنه لايجوز التوارث فيها" [٨]؛ ولذلك ظل الترشيح لمنصب الخلافة حقا لكل من هو جدير به من قريش . فلم يوص الرسول (صلى الله عليه وسلم) به لأحد من آل بيته، ولم يستخلف أبو بكر من بعده ذا قرابة [٩]، أما عمر بن الخطاب فقد رفض رفضاً قاطعاً الاستجابة لرغبة بعض الصحابة في تولية ابنه عبدالله ورد عليهم بقوله: " حسب آل الخطاب تحمل رجل منهم الخلافة ليس له من الأمر شئ، ثم حذر ابنه، قائلاً له : إياك ثم إياك لا تتلبس بها [١٠].

وكان من المفترض أن يتم الانتفاع بمثل هذه التجارب في نقل السلطة، وفي اختيار الخليفة بناء على الأسس الإسلامية السابقة وخاصة: مبدأ الشورى ، واحترام إرادة الأمة، ورفض مبدأ التوريث . لكن معاوية بن أبي سفيان تخطاها وانتهج من الوسائل ماأخرج منصب الخلافة عن الالتزام الدقيق بتلك السوابق، وأرسى سوابق أخرى جديدة، وخاصة فيما يتعلق بقضيتين أساسيتين، الأولى : وسيلة الوصول إلى منصب الخلافة التى

تغيرت عن ذي قبل، ونتج عنها أن تبدلت السمة الغالبة للحكم، إذ بعدما كان لايصل أى شخص إلى منصب الخلافة إلا بناء على رغبة الأمة ورضاها، إذا بمعاوية يفرض نفسه على جماهير الأمة الإسلامية بالقوة المسلحة وبأساليب الدهاء السياسي ؛ أما الثانية فهى طريقة اختيار خليفة المستقبل، وهى الطريقة التى ستعرف بنظام ولاية العهد .

ففيما يتصل بالقضية الأولى نجد أن معاوية - وبني أمية بصفة عامة - قد استغلوا قضية اغتيال الخليفة عثمان بن عفان عام ٣٥هـ، وارتكزوا عليها كمبرر مقبول ومفهوم لدى عامة المسلمين، للعمل من أجل تحقيق غايتهم السياسية . فعثمان - على أية حال - واحد منهم، وهم أسرته وعصبيته وأصحاب الحق في المطالبة بالقصاص من قتلته، فتمسكوا بالمطالبة العاجلة للأخذ بثأره حتى لايُهدر دمه، وحتى لاتلحقهم معرة التقصير في طلب القصاص له، وألهبوا المشاعر الدينية بالحديث المستمر عن وجوب إقامة الحد على القتلة الذين سفكوا " الدم الحرام في البلد الحرام"[١١] ومازالوا يرددون هذه الصيحات في آذان المسلمين لبناء جبهة قوية تناصرهم في دعواهم، أو على الأقل تقف منهم موقف الحياد إذا ماتطورت الأوضاع، واضطروا إلى خوض المعارك ضد الخليفة عليّ بن أبي طالب لتحقيق هذا الهدف .

ولما كان معاوية ممثلاً للقيادة الأموية آنذاك، فقد تصدى لتحريك الأحداث في اتجاه الأمويين، وحشد لذلك كل قدراته وطاقاته، فأدى دوره باتقان فائق، وأظهر براعة منقطعة النظير في الدهاء السياسي وائتلاف القلوب واصطناع الرجال، والتودد إلى الجماهير ودفعها في الطريق التى يرغب هو أن يراهم عليها، حتى استقامت له الأمور في النهاية وظفر بمنصب الخلافة .

وقد كانت فترة خلافة عليّ بن أبي طالب، فيما بين عامى ٣٥-٤٠هـ، هى فترة العمل الحقيقي لمعاوية في الزحف المخطط المنظم للقبض على زمام السلطة في الدولة، وبدأ هذا العمل منذ أن أرسلت إليه نائلة بنت الفرافصة - زوج الخليفة عثمان - قميص عثمان وعليه آثار الدماء، وكتبت إليه تحثه على الأخذ بثأره،وتذكّره هو والأمويين بعامة بحقوقه عليهم [١٢]؛ فإذا بمعاوية ينشر القميص على منبر الجامع بدمشق، ومعه الأطراف المقطوعة من يد نائلة، حتى أهاج مشاعر أهل الشام[١٣]، وعبأ نفوسهم بالثورة على مرتكبي هذه الجريمة المنكرة، فهجروا حياتهم اليومية وآلوا على أنفسهم ألاَّ يأتوا نساءهم، وألاَّ يمسهم الماء للغسل إلا من احتلام، وألا يناموا على الفرش حتى يقتصوا من قتلة عثمان أو تفنى أرواحهم[١٤]. وفوضوا معاوية في ذلك حيث قالوا له :" هو ابن عمك وأنت وليّه ونحن المطالبون معك بدمه "[١٥]. وعلى هذا النحو تمكن معاوية من تكوين جبهة معارضة اتخذت من الخليفة عليّ موقفا متشدداً منذ بداية خلافته .

وقد بادر الخليفة عليّ من جانبه باشعال الموقف وتفجيره بصورة حادة، حينما أصدر قراره الإدارى

الشهير بعزل ولاة عثمان - وبخاصة من الأمويين - إرضاء للثوار . وكان عليّ نفسه يرى ضرورة إقصائهم عن مواقعهم حتى تستكن الجماهير الغاضبة، وحتى يزيل - اعتماداً على إدارة جديدة - أسباب الشكوى ، ويعيد الأمن والإستقرار، ويرد المظالم، ويقيم العدل في الأمصار التى ادّعى أهلها أن عثمان أطلق الحرية لولاته في التصرف فيهم كيف شاءوا، فبغوا وظلموا وطغوا وعسفوا حتى أرهقوا الرعية .

وعلى الرغم من أن كثيراً من الولاة قد استجاب لقرار الخليفة عليّ باعتباره السلطة العليا في الدولة، فإن معاوية رفض الإذعان أو الخضوع وأصر على البقاء في منصبه معتمداً على أحقيته في المطالبة بدم الخليفة الشهيد، واعتبر هذا الأمر يتقدم كل اعتبار آخر [١٦].

ومن هنا بدأت رحلة الصراع السياسي والعسكري بين الخليفة عليّ، الذى كان بحكم منصبه هو الذى يقرر الأولويات ويدير شئون الدولة بما يراه محققا لمصلحتها العليا، وبين الوالي الطموح معاوية الذى تشبث بمنصبه متعللا بأنه وليّ الخليفة الشهيد والمطالب الشرعي بالقصاص له .

وكان مما قوّى موقف معاوية أن الثوار - الذين تولى بعضهم اغتيال عثمان - قد انضموا إلى جانب الخليفة عليّ، وبذلك تهيأت الفرصة لذوي الأغراض الخاصة باتهامه بالرضا لمقتل عثمان - مع أن عليّا أنكر ذلك صراحة مرات عديدة بل ولعن قتلته[١٧] - أو باتهامه بأنه آوى القتلة وبسط عليهم حمايته، ومنع أولياء من الوصول إليهم والقصاص منهم[١٨]. وبذلك ظهر عليّ في صورة من كان يعمل للوصول إلى الخلافة والاحتفاظ بها بأية وسيلة، وقد استغل معاوية هذه النقطة الحرجة وأخذ يلح عليها بإصرار منقطع النظير .

وقد حاول بعض الساسة من ذوي النزعة العملية أن يقنعوا عليّا بضرورة العدول - ولو مؤقتاً - عن إمضاء هذا القرار، فالأمور مضطربة وتحتاج إلى فترة انتقالية تسكن فيها النفوس الهائجة، وتهدأ الثورة المشتعلة وتفوت الفرصة على معاوية ؛ فتقدم المغيرة بن شعبة إلى عليّ يشير عليه : بأن يقرّ معاوية وبقية عمال عثمان على أعمالهم، ويرسل إليهم بعهده، حتى يلزموا الطاعة، فإذا استقرت لك الخلافة فادرأهم - أى اعزلهم - كيف شئت برأيك[١٩]، لكن عليّا أصر على رأيه ورفض أن يلجأ إلى المناورة والتحايل، لأنه كان صريحاً يرى العقبة فلا يدور حولها، وإنما يقتحمها حتى يتغلب عليها، ورفض رأى المغيرة وغيره، قائلاً: " لا أولّي منهم أحدا أبدا، فإن أقبلوا فذلك خير لهم، وإن أدبروا بذلت لهم السيف "[٢٠]. فعاود المغيرة عليه النصيحة، بأنه إن كان ولابد من إمضاء قراره فليعزل من الولاة من شاء على أن يترك معاوية في منصبه، لأن فيه جرأة وله في الشام قوة ومنعة ؛ فرفض عليّ ذلك أيضا، قائلاً: لا والله لا أستعمل معاوية يومين[٢١].

كذلك فقد نصح عبدالله بن عباس عليّا وبيّن له خطورة الإصرار على عزل الأمويين من الإدارة، " لأن معاوية وأصحابه أهل دنيا، فمتى تثبّتهم لايبالون بمن ولى هذا الأمر، ومتى تعزلهم يقولوا : أخذ هذا الأمر

بغير شورى، وهو قتل صاحبنا ، ويؤلبوا عليك، فينتقض عليك أهل الشام وأهل العراق "[٢٢]؛ ثم تعهد عبدالله لعليّ بأن يتولى هو إزاحة الأمويين من طريقه إذا مااستجاب لنصيحته . بيد أن عليًا لم يستجب لعبد الله أيضاً، وقال له " إن أقررت معاوية على ما في يده كنت متخذ المضلين عضداً "[٢٣] وحينذاك أشار عبدالله على عليّ بأن يكتب إلى معاوية يمنّيه ويعده ؛ فرفض عليّ هذا الأسلوب الذى لايتفق وشيمته، ورد على ابن عباس بقوله " والله لا أعطيه إلا السيف "[٢٤].

ربما كان يمكن لعليّ أن يؤجل قرار عزل ولاة بني أمية إلى حين، خاصة وأنه عندما أرسل واليين جديدين، أحدهما بديلا لأبي موسى الأشعري على الكوفة والآخر بديلاً لمعاوية بن أبي سفيان على دمشق؛ صُدّا عن دخولهما، واضطرا إلى العودة إلى المدينة المنورة[٢٦]؛ غير أن عليًا ظل على رأيه وعاود إرسال كتبه مع وفوده إلى أبي موسى وإلى معاوية يدعوهما إلى بيعته وتنفيذ أوامره. وإذا كان أبو موسى قد استجاب بعد محاورات سياسية، فإن معاوية ظل على عناده ومعارضته، ولم يرد على كتب عليّ إلا بعد مدة قاربت ثلاثة أشهر وبطريقة مثيرة ؛ إذ أمر رسوله بأن يدفع إلى عليّ كتابا مختوما، ثم لقّنه مايقوله عندما يسأله عليّ عن رأيه في معاوية وفي موقفه، وعندما فض عليّ الكتاب لم يجد فيه شيئا، فلما سأل الرسول عما وراءه أجاب : " إنى أحلف بالله لقد خلفت بالشام خمسين ألف شيخ خاضبين لحاهم من دموع أعينهم تحت قميص عثمان، رافعيه على الرماح مخضوبا بدمائه، قد أعطوا الله عهدا أن لايغمدوا سيوفهم، ولايغمضوا جفونهم، حتى يقتلوا قتلة عثمان ... فقال له عليّ : مايريدون بذلك؟ قال: يريدون والله خبط رقبتك"[٢٧]. وهكذا أوضح معاوية لجماهير المسلمين بالمدينة سبب موقفه من عليّ، والشعار الذى يعمل تحت لوائه، وهو الأخذ بالثأر من قتلة عثمان، وأنه لاتهاون أو تفريط في هذا الأمر حتى ولو بلغ القصاص من عليّ نفسه .

حينذاك بدا لعليّ أن الأمر لم يعد يحتمل أى تأخير، وأنه لابد من العمل الجدي لحمل معاوية على الإذعان، لكنه رأى أن يؤخر استخدام القوة ويصطنع أولاً أسلوب الملاينة لعله يجدي في إثناء معاوية عن عزمه واستقطابه إليه، لذلك أرسل عليّ إليه المرة تلو الأخرى يطلب بيعته . ومن أسف فلم تتمخض هذه المراسلات إلا عن معاندة معاوية وإصراره على موقفه[٢٨]، خصوصاً وأن هذه المراسلات قد هيأت له وقتاً استفاد منه في كسب مؤيدين جدد - كعمرو بن العاص - تقوّت بهم جبهته في معارضة عليّ ؛ كما استفاد منهم في تأليف قلوب أهل الشام حوله والتأكد من إخلاصهم له[٢٩]. وقد خدمت الظروف معاوية وقتذاك أيما خدمة، إذ كان عليّ قد انشغل في تصفية معارضة طلحة والزبير والسيدة عائشة فيما عرف بحرب الجمل[٣٠]، بحيث إنه ماكاد ينتهي من هذه الحرب إلا وكان معاوية قد أعد عدته لقتال عليّ وهو منهك القوى ، وعسكر بجيشه في سهل صفين بالقرب من مدينة الرقة على نهر الفرات في انتظار قوات عليّ.

وعلى هذا النحو فشل أسلوب الملاينة والمسالمة مع معاوية، ووجد عليّ نفسه في موقف لن يصلح فيه سوى استخدام القوة، فأظهر العزم على القتال بأن كتب إلى ولاته أن يندبوا الناس إلى الشام، فلما اكتملت عدته خرج بقواته قاصداً معاوية حتى نزل قريباً من معسكره . وهكذا بدا أن عليّا أراد تصفية الأمر بالقوة العسكرية، لكنه ولمرة أخرى حاول تسويته سلماً، فدارت بين المعسكرين من جديد مراسلات ومفاوضات أسفرت عن لاشيء [٣١]، سوى إصرار كل فريق على رأيه، فباتت الحرب وشيكة الوقوع بين الخليفة وبين واليه الذى يرفض الإذعان .

وفي أول صفر من عام ٣٧هـ انفجرت حدة الصراع بين الفريقين عن حرب صفين التى اقتتل فيها الفريقان بضعة أيام، إلى أن حمل عليّ على جند معاوية فأزالهم عن مواقعهم بعد قتال مرير، كاد النصر يتم فيه لقوات عليّ، لولا أن تفتق ذهن عمرو بن العاص عن الحيلة المشهورة في التاريخ بالتحكيم، وهى رفع المصاحف على أسنة الرماح[٣٢]، وبهذه الوسيلة الماكرة انقلبت موازين القتال، ونجح عمرو في إشاعة الفرقة والانقسام بين صفوف جيش عليّ[٣٣]، مما أعطى الفرصة لجيش معاوية كى يسترد أنفاسه وينظم صفوفه، استعداداً للنضال من جديد .

ومع أن عليّا قد أدرك بسرعة أبعاد هذه الخدعة ؛ وحاول جاهداً تحذير أتباعه من الوقوع في شراكها، إلا أن محاولاته ذهبت عبثاً، إذ اختلفوا عليه فشايعه فريق وعصاه آخرون لم يلبثوا أن انشقوا عليه، وهددوه بقولهم :"ياعليّ أجب القوم إلى مادعوك إليه، فإنا دعونا عثمان إلى مادعاك القوم إليه، فأبى فقاتلناه"[٣٤]. وعلى هذا النحو انشق جيش عليّ على نفسه، وأخذ كل فريق يلقى على الآخر مسئولية تردي الأوضاع ؛ غير أنهم أجمعوا في النهاية - دون اعتبار لرأى الخليفة - على اختيار أبي موسى الأشعري حكما يمثل علياً، بينما اختار معاوية عمرو بن العاص ممثلاً له، وكتبت وثيقة التحكيم التى نص فيها على مكان وزمان انعقاد لجنة التحكيم[٣٥].

وليس الهدف هنا الخوض في تفاصيل قضية التحكيم هذه، ومايهمنا منها ماأسفرت عنه من اتفاق الحكمين على خلع كل من عليّ ومعاوية، وإرجاع الأمر للمسلمين كى يختاروا من يشاءون للخلافة ؛ غير أن عمراً حين إعلان النتيجة لم يلتزم بما تم الاتفاق عليه ؛ وإنما عقّب على خلع أبي موسى لعليّ بتثبيت معاوية في الحكم [٣٦].

وعلى هذا النحو سارت قضية التحكيم من بدايتها حتى نهايتها ضد الخليفة عليّ وفي صالح الوالي معاوية، الذى اكتسب بهذا القرار قوة على قوة إذ دخل في الأمر وهو وال عاص لأوامر الخليفة وخرج منه والياً شرعياً، بينما ازداد عليّ ضعفا على ضعف إذ دخل خليفة وخرج وهو فاقد هذه الصفة، فضلاً عن تصدع

جماعته بانشقاق كثير منهم عليه[٣٧]؛ ومما زاد في ضعفه أنه اضطر آنذاك أن يتفرغ أو كاد لقتال فئة الخوارج، واشتبك معهم في معارك طاحنة طيلة السنوات الثلاث التى تبقت له في الخلافة[٣٨]، في الوقت الذى كان فيه معاوية يمضي قدما في العمل على كسب قضيته والحصول على مواقع جديدة انتزعها من ولاة عليّ مثل بلاد الجزيرة ومصر والحجاز واليمن بل ومواقع في العراق ذاتها[٣٩]معقل الخليفة عليّ.

ومن أسف، فما كاد عليّ يوشك أن يتخلص من مناوأة الخوارج، لكى يتفرغ لقتال معاوية وإنهاء عصيانه في جولة جديدة، حتى عاجلته مؤامرة الخوارج فاغتيل في رمضان من عام ٤٠هـ، وهنا أدرك معاوية أنه بات قريباً من تحقيق غايته خاصة وأن أهل الشام بايعوه بالخلافة قبيل ذلك بقليل[٤٠]؛ ولم يبق أمامه لكى ينفرد بها سوى الحسن بن عليّ الذى بايعه أهل الكوفة خليفة عقب اغتيال أبيه[٤١].

لم يتجشم معاوية أدنى عناء لتحقيق ذلك وإنما تحقق له مايريد من حيث لايحتسب، إذ مالبث الحسن أن رأى في استمرار النزاع بينه وبين معاوية مزيداً من سفك الدماء وتمزيق الأمة وتفريق كلمتها، مع عدم ثقته - في الوقت ذاته - في ولاء الكوفيين له ولاء كاملاً أو ثباتهم على رأي حتى النهاية[٤٢]، ومن ثم آثر التصالح مع معاوية فتنازل له عن الخلافة، على ألاّ يعهد بها لأحد من بعده، وإنما يترك الأمر شورى بين المسلمين[٤٣]، فأجابه معاوية دون تردد إذ لم يكن يتصور أن تسير الأمور بمثل هذه السرعة أو على هذا النحو دون إراقة دماء ، ولذلك يقال إن معاوية أرسل آنذاك إلى الحسن صحيفة بيضاء مختوم على أسفلها، ليشترط بنفسه مايشاء من الشروط[٤٤]. وعلى إثر إتمام تنازل الحسن عن الخلافة، قدم معاوية إلى الكوفة وهناك بايعه أهلها بالخلافة في عام ٤١ هـ [٤٥]،وبذلك انفرد معاوية بالخلافة دون منازع.

وعلى هذا النحو تمكن معاوية بسياسته العملية، وتقديره الواقعي للأمور، وإحكامه القبضة على أتباعه الشاميين، أن يفرض نفسه على جماهير المسلمين بالقوة المسلحة، ولم يكن ذلك طريقاً مألوفاً للمسلمين من قبل، كما استخدم وسائل الدهاء السياسي في مواجهة المواقف الحرجة لتحويل مسار الأحداث - مثلما رأينا - لصالحه، مستغلاً في ذلك استقامة سياسة عليّ بن أبي طالب ووضوح أهدافه ووسائله المشروعة في تحقيقها .

لكن لما كان معاوية يدرك أن وسائله لم تكن كلها مقبولة لدى المسلمين، أو متوافقة تماماً مع المثل الدينية أو السوابق التاريخية، فإنه توقع أن قطاعاً من المسلمين لن يكونوا راضين كلية عن النتيجة التىوصل إليها ؛ وليس أدل على ذلك من أن أحد الصحابة كان يرفض التسليم عليه إلا بلقب "ملك" دون لقب "خليفة"، فإذا ماطلب معاوية منه أن يدعوه بخليفة، ردّ عليه بقوله : " ذاك إن كنّا قد أمّرْناك، إنما أنت منتز"[٤٦]. وكان معاوية نفسه لايتنكر لهذه الحقيقة، وعبر عنها صراحة بقوله : إني والله ماوليتها - أى الخلافة - بمحبة

علمتها منكم، ولامسرة بولايتي، ولكني جالدتكم بسيفي هذا مجالدة[٤٧]. ومن هنا رأى معاوية أن يكسب ولاء هؤلاء المعارضين، واستطاع بحسن سياسته في معالجة مواقفهم أن يستقطب جماهير المسلمين وكبار القادة من الصحابة أو أبنائهم .

وقد بدأ معاوية باستمالة أهل العراق بصفة خاصة، لأنهم على أية حال أتباع عليّ وشيعته الذين أيدوه في غالب الأحيان، ثم أهاج مصرعه مشاعرهم وكان مدعاة لاندفاعهم في الولاء لأسرته من بعده، فبايع أهل الكوفة ابنه الحسن - مثلما ذكرنا - بالخلافة . ولذلك بادر معاوية بإصدار عفو شامل عن أهل العراق أقرهم فيه على ماأصابوه من أموال ودماء [٤٨]، بهدف أن يتقرب إليهم ويستميلهم إليه حتى لاينفروا من سياسته أو يمتنعوا عن البيعة له . ومع ذلك، فلم يصف العراق كلية لمعاوية، إذ كان أهله هم جماعة الشيعة المتحمسة للبيت العلوى ، فضلاً عن جماعة الخوارج التى أصبحت قوة لا يستهان بها منذ عهد معاوية ؛ وظلت هى والشيعة جرحاً غائراً في جسد دولة بني أمية ينزف باستمرار، لأنهما شكلتا حركات المقاومة العنيدة والعنيفة ضدها .

أما أبناء كبار الصحابة في الحجاز، فقد استخدم معاوية معهم سلاح الإغراء المالى والحلم لحملهم على الاعتراف بخلافته والكف عن منازعته ؛ وفي هذا المعنى يقول صاحب الفخري أن معاوية كان " يعطي عبدالله ابن جعفر بن أبي طالب، وعبدالله بن عباس في كل سنة جُملاً طائلة من المال"[٤٩] ؛ وأنه انتهج نفس السياسة مع غيرهما من أشراف قريش -مثل عبدالله بن عمر، وعبدالرحمن بن أبي بكر- الذين كانوا"يفدون عليه بدمشق فيكرم مثواهم، ويحسن قراهم، ويقضي حوائجهم "[٥٠] ؛ فكان يعطيهم الهبات الضخمة، حتى إنه أعطى أحد الأنصار خمسمائة دينار فاستقلّها وردها إليه في خشونة وغلظة[٥١]. ويضيف صاحب الفخري أن معاوية كان يحتمل منهم النقد اللاذع والمجاهرة برأيهم فيه وفي سياسته، ويتغافل عما يحدثونه به، ويحلم عليهم حتى عُدّ ذلك منه جبنا وضعفاً [٥٢]؛ ومع ذلك فقد تمسك بسياسة طول الصبر والأناة التي كانت إحدى ملامح شخصيته[٥٣] ، مما مكنّه في نهاية الأمر من تحقيق هدفه، وضمان الاستقرار لخلافته، إذ مما لاشك فيه أن اقتراب مثل هؤلاء الأعلام من مجلسه وسكوتهم على سياسته قد دعم مركزه في نظر الرعية وجعلهم يطمئنون إلى حكمه، مادام هؤلاء الكبار راضين حتى وإن كان رضاهم سلبياً، ثم يخلص صاحب الفخري إلى النتيجة الحتمية من وراء هذه السياسة، فيقول : " بمثل هذه السيرة صار - معاوية- خليفة العالم، وخضع له من أبناء المهاجرين والأنصار كل من يعتقد أنه أولى منه بالخلافة [٥٤]". ويؤكد المسعودي هذه الحقيقة بقوله أنه نتيجة لما أفاض به معاوية عليهم من بره وعطائه، وماشملهم به من إحسانه، أن اجتذب قلوبهم واستدعى نفوسهم، حتى آثروه على الأهل والقرابات.[٥٥]

وهنا نتوقف لمناقشة مدى شرعية ماستخدمه معاوية من أساليب ليظفر بمنصب الخلافة، ومأثر ماأحدثه من تغيير على نظام الخلافة نفسه ؟

وينبغي أن يكون مقرراً منذ البداية أنه لم تكن هناك - حتى تلك اللحظة - طريقة واحدة ملزمة لانتقال السلطة في نظام الخلافة، وكل ماهنالك مجموعة من التقاليد أو السوابق التى ارتضى المجتمع الإسلامى الأخذ بها؛ ومن الملاحظ أنه لم يرتفع صوت واحد خلال عصر الخلفاء الراشدين يطالب بضرورة انتقال الخلافة طبقا لنسق معين .

فقد استقر الأمر لأبي بكر إثر مناقشات مفتوحة بين الطوائف المؤثرة في المدينة من المهاجرين والأنصار؛ ثم رشح أبو بكر -بناء على تفويض الأمة - عمر بن الخطاب فارتضاه المسلمون وبايعوه خليفة غداة وفاة أبي بكر ؛ ولم يترك عمر بدوره منصب الخلافة نهباً مشاعاً تتطلع إليه كل الأنظار من بعده، وإنما حصره في الزعماء الست الكبار، بعد أن حدد لهم طريقة اختيار الخليفة من بينهم، فاختاروا عثمان بن عفان . أما عليّ بن أبي طالب فقد ولى أمر المسلمين في أعقاب اغتيال عثمان بعد أن بايعه كثير من كبار الصحابة في المدينة. وهكذا تولى الخلفاء الراشدون الأربعة وفقاً لطبيعة الظروف التى فرضت نفسها، وللمعايير التى تضمن تحقيق مصالح الأمة آنذاك .

أما بالنسبة لمعاوية فالأمر جد مختلف ؛ إذ وصل إلى منصب الخلافة بعد صراع عسكري وسياسي مع الخليفة عليّ، ومن ثم اختلفت وسيلة الوصول إلى المنصب . ومع ذلك فلا يجب أن نظن أن معاوية كان الوحيد الخارج على طاعة الخليفة عليّ، وإنما وُجد غيره ممن كانوا يرون أن البيعة لعليّ لم تنعقد على اعتبار أن الفتنة، التى غشيت المدينة عقب اغتيال عثمان، لم تجعل أحداً قادراً على الرؤية الصحيحة الواضحة، أو الحكم الدقيق على مجريات الأمور آنذاك، ومن ثم توقف بعض كبار الصحابة فيها عن مبايعة علي[٥٦] . كما تخلّف عن مبايعته كثير من الصحابة ممن كانوا قد انتشروا في الأمصار، وأجمع هؤلاء وأولئك على المطالبة بالقصاص للخليفة عثمان قبل اختيار الخليفة. وقد عبر ابن خلدون عن هذا الاتجاه بقوله إن هؤلاء قد رأوا أن بيعة عليّ لم تنعقد " لافتراق الصحابة أهل الحل والعقد بالآفاق ولم يحضر إلا قليل، ولاتكون البيعة إلا باتفاق أهل الحل والعقد، ولاتلزم بعقد من تولاها من غيرهم، أو من القليل منهم، وإن المسلمين حينئذ فوضى، فيطالبون أولاً بدم عثمان، ثم يجتمعون على إمام، وذهب إلى هذا معاوية، وعمرو بن العاص، وأم المؤمنين عائشة، والزبير وابنه عبدالله، وطلحة وابنه محمد، وسعد، وسعيد، والنعمان بن بشير، ومعاوية بن حديج، ومن كان على رأيهم من الصحابة، الذين تخلفوا عن بيعة عليّ بالمدينة "[٥٧] . وعلى هذا فلم يكن معاوية وحده الذى وقف من عليّ هذا الموقف، وإنما كان هناك تيار بين الصحابة يسيرفي الاتجاه الذى سار فيه معاوية .

حقيقة إن كثيراً من هؤلاء الصحابة لم يناصبوا عليًا العداء جهرة، ولم يسعوا - مثل معاوية - للوصول

إلى الخلافة، لكن من الحق أيضاً القول بأن بعضهم قُتل وهو يحاول تحقيق وجهة نظره في القصاص لعثمان، ولو طال به الأجل لظل على رأيه .

وثمة عامل آخر يميز موقف معاوية عن هؤلاء الصحابة، وهو صلة القرابة والدم التى تربط معاوية بالخليفة عثمان، وجعلته مسئولاً عن القصاص له، ومن ثم فلم يعتبر معاوية نفسه ملزماً ببيعة عليّ وأخذ عليه إرجاءه القصاص من قتلة عثمان حتى يقبض على زمام الأمور وتستتب الأوضاع أولاً. ومع أن المنطق الواقعي كان يؤيد وجهة نظر عليّ ؛ فمن الذى كان يستطيع القصاص لعثمان ؟ وبأية سلطة ؟ اللهم إلا أن يكون الخليفة نفسه بما له من حق الطاعة على الأمة وتنفيذ الحدود في المخالفين ؛ لكن متى كان المنطق وحده كفيلا بإقناع النفوس الهائجة التى استحوذت عليها فكرة القصاص ؟ وبخاصة إذا ماتلاقت هذه الفكرة مع الرغبة المستكنة في نفس معاوية من حب الرئاسة والتطلع إلى السلطة، وهى رغبة عبر عنها ابن طباطبا بقوله إن معاوية كان: "محباً للرئاسة مشغوفاً بها" (٥٨) .

ومن هنا نتبين أن معاوية كانت له مبرراته في موقفه من عليّ، مثله في ذلك مثل بعض كبار الصحابة ممن لم يبايعوا علياً . إلا أن مايؤخذ على معاوية أنه كوال كان عليه أن ينفذ أوامر الخليفة، ومن هذه الزاوية يمكن أن يعتبر معاوية خارجاً على السلطة العليا، ومن ثم يحق للخليفة إلزامه بتنفيذ الأوامر، كى تظل للدولة مهابتها وحتى لايكون موقفه داعياً إلى استسهال العصيان والخروج على طاعة السلطة العليا ؛ لكن إذا كان هذا هو فهم عليّ ومؤيديه لموقف معاوية فليس هو التفسير الوحيد المقبول، إذ كان هناك – مثلما ذكرنا – من كان يرى أن بيعة عليّ لم تنعقد، ولذلك فإن أوامره ماكانت ملزمة إلا لمن اعترف به وبايعه، ولما كان معاوية يؤمن بذلك فقد وجد أن أوامر الخليفة غير ملزمة له ؛ ومن ثم ظل على موقفه من عدم البيعة، وأصر على ضرورة القصاص لعثمان أولاً.

لكن إذا كان موقف معاوية هذا مقبولاً حتى انتهى عليّ من بعض معارضيه في حرب الجمل، فإن مواقفه التالية لذلك ليس لها مايبررها سوى رغبته العارمة في الوصول إلى السلطة. ذلك أن تقدمه للاشتباك مع عليّ اشتباكاً مسلحاً في صفين وما وقع خلالها من حيل ماكرة، بهدف إشاعة الفرقة بين صفوف جيش عليّ، وإحداث الانقسام في صفوف المسلمين، وماتلا ذلك من تطورات حربية وسياسية، ليس له تفسير مقبول سوى القول بأن معاوية ارتكز على قضية القصاص لعثمان، ليتمكن من مواصلة معارضة عليّ، بغية الوصول إلى السلطة في نهاية الأمر .

على أنه ينبغى أن يقال أيضاً، إن معظم المشاكل التي واجهت عليّا لم تأت كلها من قبل معاوية وإنما نبعت أساساً من جبهته هو، فتكوين جيشه بمن كان يضمهم من الثوار الذين اشتركوا في قتل عثمان، وعدم

تمكنه من إخراجهم أو إنزال القصاص بمن اقترف منهم هذا الجرم، ثم نزوله على رأي بعض أتباعه ممن لم تكن لهم رؤية سياسية في مواقف وأحداث كانت تتطلب حسماً وحكنة، ثم انشغاله فيما بعد بتصفية الخارجين عليه من قواته ؛ كل هذه الأحداث المتواصلة أوقعت عليّا في مشاكل متلاحقة لم تسمح له بالتفرغ لإنهاء موقف معاوية ؛ بل إن هذه الأحداث بعينها هى التى انتهزها معاوية واستفاد منها بمهارة فائقة لإحداث التغيير المطلوب لصالحه، ولولا ذلك فربما كان من الممكن أن تسير أحداث تلك الفترة على نحو مخالف، يؤدي إلى تمكن عليّ من التخلص من هذا الوالي الذى امتنع عن تنفيذ الأوامر.

ومهما يكن من شيء، فإن معاوية - على النحو الذى قدمناه - يكون قد وصل إلى منصب الخلافة بعد سلسلة طويلة من الأحداث السياسية والحربية العنيفة، وبالتالي يكون وصوله إلى هذا المنصب - في بعض جوانبه - نتيجة حركة مسلحة، وهو ماعبر عنه الحسن البصري بقوله : " أربع خصال كنّ في معاوية، لو لم تكن فيه إلا واحدة منهن لكانت موبقة ؛ انتزاؤه على هذه الأمة بالسيف، حتى أخذ الأمر من غير مشورة، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة ... " [٥٩].

لكن من الحق القول أيضا أن الأمة قد أسهمت في ذلك بصورة جزئية حينما تنازل الحسن لمعاوية عن الخلافة، وحينما بايعه أيضاً كبار الصحابة ورضوه خليفة، حتى من كان منهم أقرب إلى عليّ كابن عمه عبدالله ابن العباس، أو من كان منهم ألد خصوم معاوية كعبد الله بن الزبير، وذهبوا إليه في دمشق وغشوا مجلسه ونالوا رفده، واعترفوا بحسن سياسته ؛ حتى إن عبدالله بن العباس كان يقول :" مارأيت أحداً أخلق للملك من معاوية "[٦٠]. ثم أسهمت الأمة بصورة كلية حينما اجتمعت كلمتها وبايعته بالخلافة في عام ٤١ هـ؛ على النحو الذى كانت تبايع به من سبقه من الخلفاء الراشدين واحدا بعد الآخر .

ولا ننكر أنه ظل هناك بعض الصحابة لم يعترفوا بخلافة معاويةإلا مكرهين، وكانوا يرون أنه اغتصب الخلافة وحوّل رسومها إلى رسوم ملكية، ولكن هل خلا أى عصر من بعض المعارضين ؟ ألم يعارض سعدبن عبادة بيعة أبي بكر ومن بعده عمر ؛ ولم يزل كذلك دون أن يبايع أيا منهما حتى توفي[٦١] ؟ ألم يعارض أهل الشام بيعة عمر بن الخطاب، وقالوا : إن كان عمر هو الوالي فليس لنا بصاحب، وإنا نرى خلعه؛ وصاح فيه مبعوثهم بقوله: هم كارهون لولايتك[٦٢]، ألم يبق بعض المعارضين لعليّ أيضا مثلما ذكرنا من قبل ؟.

وعلى الرغم من ذلك، فإن ماأحدثه معاوية من تغيير في وسيلة الوصول إلى منصب الخلافة، لم يؤثر بصورة كبيرة في تغيير النظام السياسي الإسلامي، بل رضيته جماهير المسلمين واعترفت به في غير استياء كبير . أما ما أهاج مشاعر السخط ضده وفجر غضب المسلمين هو ما اتخذه - بعد مبايعته بالخلافة - من إجراءات غيرت مسار النظام السياسي تغييراً جوهرياً، وترتبت عليها آثار جد خطيرة زلزلت بعض المفاهيم

والقيم التى كانت قد ترسخت كالشورى مثلاً . ومن ثم فينبغي أن نولي هذا التغيير مايستحقه من دراسة ؛ واستيضاح الظروف التى تم فيها ، حتى نلم بالاتجاهات المتباينة التى أثيرت حوله، والأسلوب الذى تم به، والهدف الذى تطلع إليه معاوية.

لم يكن هذا التغيير سوى محاولة معاوية نقل سلطة اختيار الخليفة من الأمة إلى البيت الأموي وقصرها عليه من دون بقية المسلمين، وكان هذا الإجراء أخطر تغيير أقدم عليه طوال مدة خلافته (٤١-٦٠هـ). وبعبارة أخرى ، كان يمثل بتعبير العصر أول "انقلاب دستورى " في شكل الحكم في الدولة، لأن مضمون هذا الإجراء كان يرمي إلى احتكار البيت الأموي للخلافة، وبالتالى تغير مظهر الخلافة من كونها منصباً عاماً إلى منصب ملكي يتوارثه أفراد بني أمية فقط، حتى وإن لم يتوفر في بعضهم الكفاءة أو القدرة التى يتطلبها هذا المنصب، وبصرف النظر عن الرضا الكامل من قبل الأمة. ولذلك كان لابد أن يسبب هذا التغيير هزة عنيفة في المجتمع الإسلامي وقتذاك، ويفجر المعارضة ضد معاوية بشكل لم يسبق له مثيل، ويضع الدولة كلها على أبواب حرب أهلية جديدة، لولا أن استطاع معاوية بدهائه وذكائه السياسي أن ينتزع عناصر تفجير الموقف، ويمضي في ثبات لتنفيذ فكرته بنجاح.

ذلك أن معاوية لم يلبث أن فاجأ الأمة بما لم تكن تتوقعه، إذ أعلن عن رغبته في جعل ابنه يزيد وليّ عهده-أى خليفته-وطالب جماهير المسلمين بالبيعة له ليضمن التزامها بخلافته من بعده. وقد أدار معاوية صراع هذه المعركة السياسية بكفاءة عالية ودبلوماسية غير عادية، فجعل الأمر يبدو وكأنه رغبة شعبية عامة رفعتها إليه الرعية على لسان قادتها وولاتها، ولم يترك فرصة دون أن يؤكد على أن قادته هم الذين أشاروا عليه بها وحملوه على تنفيذها، وأنهم حذروه مغبة التسويف أو المماطلة في الاستجابة لهذه الرغبة، وأنه لا يملك إلا النزول على إرادة الجماهير ورغبتها.

ومن الإنصاف التنويه بأن فكرة تولية يزيد العهد لم تخطر على بال معاوية أول ما خطرت، وإنما على بال المغيرة بن شعبة واليه على الكوفة، وأحد دهاة العرب[٦٤]، ولما عرضها عليه راقت له. ولم تكن نية المغيرة خالصة فيما أشار به، وإنما كان يرمي إلى فتح جبهة من المتاعب في وجه معاوية، حينما بلغه ما عزم عليه من عزله عن ولايته، وهذه الفكرة في ظاهرها كانت بسيطة لكنها في جوهرها ونتائجها كانت خطيرة.

فيتضح مما ترويه المصادر أن المغيرة نسج من هذه الفكرة خطة مؤداها أن يتم إثارة شهية يزيد في الحكم، وتحريضه على أن يطالب أباه بتوليته الخلافة من بعده، فإن رفض انقلب الابن عليه ونازعه الأمر، وإن وافق هاجت مشاعر الأمة وانقلبت عليهما معا. وفي كلتا الحالتين يكون المغيرة قد نجح في أن يفتح على معاوية جبهة من النزاع والصراع لا يعلم عواقبها إلا الله؛ وهو ما عبر عنه المغيرة -بعد عودته من عند معاوية- بقوله لأصحابه: "لقد وضعت رجل معاوية في غرز بعيد الغاية على أمة محمد، وفتقت عليهم فتقاً لا

يرتق أبداً"[٦٥] .

وصل المغيرة إلى دمشق لينفذ ما خطط له، وقدم أولا على يزيد فقال له:"إنه قد ذهب أعيان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وكبراء قريش، وذوو أسنانهم، وإنما بقى أبناؤهم، وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأيا، وأعلمهم بالسنة والسياسة، ولا أدري ما يمنع أمير المؤمنين أن يعقد لك البيعة"[٦٦]، ولا شك أن مثل هذه الكلمات أثارت في يزيد الحمية والكبرياء بما حملته من مدح وثناء، وأغرته بأبيه بأن تركت في نفسه علامات استفهام عما يمنع أباه من عقد البيعة له.

توجه يزيد إلى أبيه وكلمه فيما حدثه فيه المغيرة. وما كاد معاوية يسمع ذلك حتى استهوته هو الآخر الفكرة وملكت عليه قلبه، وفجرت في نفسه رغبة جامحة لتنفيذها؛ ومن ثم استدعى المغيرة وحادثه فيما سمعه من ابنه، فرد عليه المغيرة مبرراً الفكرة بقوله: يا أمير المؤمنين، قد علمت ما لقيت هذه الأمة من الفتنة والاختلاف، وفي عنقك الموت، وأنا أخاف إن حدث بك حدث أن يقع الناس في مثل ما وقعوا فيه بعد قتل عثمان، فاجعل للناس بعدك علماً يفزعون إليه، واجعل ذلك يزيد ابنك. فلما اقتنع معاوية بالفكرة بادر مستفسراً من المغيرة عمن يمكن أن يعتمد عليه في مثل هذا الأمر، قائلا: ومن لي بهذا؟ فأجابه المغيرة بقوله: أنا أكفيك أهل الكوفة، ويكفيك زياد أهل البصرة، وليس بعد هذين المصرين من يخالفك[٦٧]. وإمعانا في إغراء معاوية بالمضي قدما في هذا السبيل، استطرد المغيرة يعلمه بأنه سبق وتحدث مع أشراف الكوفة في هذا الموضوع وأنه وجد منهم قبولا، ولكنه يود أن يعرف رأيه هل يمضي فيه أم يكف. فاستنكر معاوية عليه هذا التردد في أمر كهذا، واستنهض همته قائلا له "سبحان الله يا أبا عبد الرحمن ! إنما يزيد ابن أخيك، ومثلك إذا شرع في أمر لم يدعه حتى يحكمه، فنشدتك الله ألا رجعت فتممت هذا"[٦٨].

عاد المغيرة إلى مقر ولايته ولديه مهمة إتمام ما أقنع به معاوية[٦٩]، فاستدعى من يثق فيه فقط ومن يعلم أنه شيعة بني أمية، وأوصلهم أولاً بالأموال ثم كلمهم في شأن البيعة ليزيد. وكان طبيعيا -والحال كذلك- أن يجيبوه إلى مادعاهم إليه، فلما استوثق منهم أوفدهم إلى دمشق ومعهم أحد ابنيه -عروة أو موسى- وحينما دخلوا على معاوية قاموا بين يديه خطباء، وأوضحوا له أن ما أشخصهم إليه هو النظر لأمة محمد (صلى الله عليه وسلم)، وزينوا له البيعة لابنه يزيد ودعوه إلى عقدها، ومما قالوه في هذا الشأن: يا أمير المؤمنين: كبرت سنك، وخفنا انتشار الحبل، فانصب لنا علماً، وحد لنا حداً ننتهي إليه، فقال: أشيروا عليّ، فقالوا: نشير بيزيد ابن أمير المؤمنين، فقال: أوقد رضيتموه؟ قالوا: نعم، قال وذاك رأيكم؟ قالوا: نعم ورأي من وراءنا، فقال لهم: لا تعجلوا باظهار هذا وكونوا على رأيكم. وهنا نلاحظ أنه لم تبد أية دهشة على معاوية من إصرار هذا الوفد وتحمسهم للبيعة ليزيد وإجماعهم عليه؛ فهم على أية حال شيعة بني أمية؛ ويعلم أن

المغيرة اشترى ذممهم برنين الأموال، والدليل على ذلك أن معاوية مال على ابن المغيرة وسأله دون أن يلحظ القوم: بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم؟ فأجاب: بثلاثين ألف -وفي رواية أخرى بأربعمائة- فرد عليه معاوية متهكما مستهزئا: لقد وجد -أبوك- دينهم عندهم رخيصا[٧٠].

وهنا نتساءل عن السر فيما أبداه معاوية من تردد جعله يطلب من وفد الكوفة ألا يتعجلوا الأمر وأن يبقوا على رأيهم.

الواقع أن الإجابة عن هذا التساؤل لا تحتاج إلى كبير عناء، ذلك أن تحركات معاوية في الولايات الأخرى كالشام والبصرة والمدينة، فيما يتعلق بالدعاية لابنه يزيد تمهيداً للبيعة له، كانت تواجه بعض التعثر، فقد خيب أهل الشام ظنه بهم، وخذله والياه في كل من البصرة والمدينة، وكان عليه أن يزيل هذا التعثر أولاً، وإن كان الموقف المبدئي لأهل الكوفة قد قوّى-مثلما يشير المؤرخون- من عزم معاوية على المضي في البيعة لابنه.

فما هى قصة التعثر الذى واجه معاوية في ولاياته؟ ولنبدأ بولاية البصرة، التى كان معاوية قد كتب إلى واليها زياد بن أبيه يستشيره فيما همّ به، فلما ورد الكتاب على زياد استدعى بدوره أحد ثقاته وقال له استدعيتك لأمر "أبهمت عليه بطون الصحف، إن أمير المؤمنين كتب إليّ يستشيرني في كذا وكذا، وأنه -أى زياد- يتخوف نفرة الناس ويرجو طاعتهم ... ويزيد صاحب رسْلة وتهاون، مع ما قد أولع به من حب الصيد"[٧١]. ومع أن زياد يُرجع-حسب النص السابق- تخوفه من نفرة الناس إلى أمور تتعلق بشخصية يزيد، فإن السبب الحقيقي في ذلك هو أن رغبة معاوية من البيعة لابنه يزيد تناقض ما اتفق عليه من قبل مع الحسن ابن علي، الذى تنازل عن الخلافة لمعاوية طول حياته على ألا يعهد بها لأحد من بعده مثلما أشرنا من قبل. وليس هذا الرأى مجرد اجتهاد وإنما جاء صريحا على لسان وفد البصرة حينما عارضوا معاوية في البيعة ليزيد، وقالوا له: "إن أهل الحجاز والعراق لا يرضون بهذا ولا يبايعون ليزيد مادام الحسن حيا"[٧٢]، ومن هنا ندرك السبب الرئيسي وراء تخوف زياد وحرصه على استمرار كسب طاعة أهل ولايته.

وعلى كل، فقد أسفرت مشاورات زياد مع مستشاره عن اتفاقهما على أن يوفدا إلى معاوية وفداً بكتاب يشيران عليه فيه بالتؤدة وعدم التعجل في هذا الأمر، فقبل معاوية ما أشارا به[٧٣]، ومن ثم تأخر أمر البيعة ليزيد -مثلما يعلق النويري-حتى وفاة زياد[٧٤] أى في عام ٥٣هـ.

أما في الشام، فقد أخذ معاوية على عاتقه الخاص مهمة التمهيد لبيعة ابنه، و مع أنه كان يثق في أهل الشام ثقة مطلقة، فإنه رأى أن يستدرجهم نحو هدفه بأن يسترجع في أذهانهم موقف أبي بكر من جماهير المسلمين من قبل، حينما شعر بدنو أجله وخاف على المسلمين الاختلاف إن هو ترك الأمر لهم ليختاروا من

يرغبون فيه، وفي نفس الوقت لم يشأ أن يفرض عليهم خليفة لا يحظى بالإجماع، ولذلك طبق المبدأ الإسلامى -الشورى- بعرض الأمر على جماهير الأمة لتتحمل مسئوليتها في تقرير مصيرها، فجمعهم في المسجد وخطب فيهم بقوله: "أيها الناس، قد حضرني من قضاء الله ما ترون، وإنه لابد لكم من رجل يلي أمركم، ويصلي بكم، ويقاتل عدوكم، فيأمركم، فإن شئتم اجتمعتم فائتمرتم، ثم وليتم عليكم من أردتم، وإن شئتم اجتهدت لكم رأيي... فقالوا: ياخليفة رسول الله أنت خيرنا وأعلمنا، فاخترلنا، قال: سأجتهد لكم رأيي وأختار لكم خيركم إن شاء الله"(٧٥) فلما اختار عمر بن الخطاب رضيه المسلمون عن إجماع(٧٦).

كان هدف معاوية من استرجاع هذا الموقف في أذهان المسلمين بالشام أن يشعرهم أولا بأنهم أصحاب الرأي في تقرير مصيرهم،وأنه من جانبه لن يخرج عما استنّه أبوبكر؛ وعن طريق هاتين الوسيلتين يمكن أن يحصل من أهل الشام على مثل التفويض الذى حصل عليه أبو بكر من جماهير المدينة المنورة ليختار هو من يراه؛ لأن هذا التفويض بمثابة اعتراف صريح من الجماهير بشرعية -دستورية- العمل الذى يوشك أن يبدأه؛ وبالتالي يظهر الأمر على أنه رغبة شعبية ليس لمعاوية إلا الاستجابة لها.

ومضى معاوية يقتفي ما فعله أبو بكر، فجمع أهل الشام وخطب فيهم خطبة لم يخرج مضمونها عن مضمون خطبة أبيبكر إذ قال معاوية لهم: "ياأهل الشام، إني قد كبر سني وقرب أجلي، وقد أردت أن أعقد لرجل يكون نظاماً لكم، وإنما أنا رجل منكم، فارتؤا رأيكم" (٧٧)؛ ومع ذلك فقد كان معاوية يرمي إلى أن يفوضه أهل الشام -مثلما فوض أهل المدينة أبا بكر-لينفرد هو باختيار ابنه يزيد. لكن المفاجأة كانت عكس توقعاته فلم يفوضه أهل الشام، كما لم يجد هواهم في ابنه وإنما في شخصية أخرى، هو عبدالرحمن بن خالد بن الوليد وكان مقدّرا عندهم وله شأن عظيم لمآثره هو وأبيه من قبله في مجاهدة الروم، فشق الأمر على معاوية وأسره في نفسه، وأخذ يتحين المناسبة الملائمة لإزاحة عبدالرحمن من طريق ابنه يزيد؛ وقد واتته الفرصة بسرعة لم يكن يتوقعها حيث مرض عبدالرحمن، فأرسل إليه معاوية أحد أطبائه لا ليعالجه وإنما ليسقيه سقية قتله بها في عام ٤٦هـ(٧٨).

وإذا كان هذا موقف أهل الشام؛ فلم يكن موقف أهل الحجاز -لاسيما المدينة- بأحسن منه. ذلك أن معاوية كان قد كتب إلى واليها مروان بن الحكم رسالة شبيهة من حيث مضمونها بما قاله لأهل الشام، دون أن يفصح فيها عن رغبته في اختيار ابنه وليا للعهد، وإنما أراد أن يحصل أولا على موافقة أهل الحجاز بتفويضه في الاختيار؛ فكان نص رسالته: "إني قد كبرت سنى، ورق عظمي، وخشيت الاختلاف على الأمة بعدي، وقد رأيت أن أتخير لهم من يقوم بعدي، وكرهت أن أقطع أمرا دون مشورة من عندك، فاعرض ذلك عليهم، واعلمني بالذى يردون عليك . ولما عرض مروان الأمر على جماهير المدينة، لم يظهروا أدنى تردد وإنما وافقوا

على المبدأ إذ قالوا: " أصاب معاوية ووفق، وقد أحببنا أن يتخير لنا فلا يألو"؛ وعلى الفور أبلغ مروان معاوية بموافقة أهل المدينة على المبدأ، وحينذاك أعاد عليه معاوية الجواب بأن يذكر لهم يزيد، ففعل مروان ماأشير عليه به وقام في الناس قائلا: " إن أمير المؤمنين قد اختار لكم فلم يأل، واستخلف ابنه يزيد بعده" (٧٩).

وما إن كشف مروان عن شخصية المرشح الذى اختاره معاوية لمنصب الخلافة حتى انكشف لأهل المدينة بجلاء أبعاد ما كان يرمي إليه معاوية، وهو جعل الحكم حقاً خاصاً مقصوراً على بني أمية يتداولونه فيما بينهم، وأحسوا أنه خدعهم في المرة الأولى ثم انفرد دون اعتبار لرأيهم باختيار شخصية لا تليق-في نظرهم- لشغل المنصب الأول في الدولة، نظراً لما كان يشاع عن يزيد آنذاك من تهاون في حياته الخاصة، ومن ثم هاجت مشاعر زعماء أهل المدينة مثل : عبدالله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، والحسين بن علي. وعبر عن هذا الاستنكار عبدالرحمن بن أبي بكر، الذى صاح في وجه مروان بن الحكم، وهو يعلن اختيار يزيد، قائلا: "كذبت والله يامروان وكذب معاوية، ما الخيار أردتما لأمة محمد، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل" (٨٠). وفي نفس الوقت، اعتذر عبدالرحمن عن قبول الأموال التى أرسلها إليه معاوية وقتذاك، قائلا " أبيع ديني بدنياي!"(٨١). أما عبدالله بن عمر، فهو وإن قبل ما أرسله معاوية إليه من أموال لكنه تنبه إلى هدف معاوية وعلق عليه بقوله: "هذا أراد ؟ إن ديني عندي إذن رخيص!" (٨٢).

وهكذا تكتلت زعامات المدينة واتفقت على الامتناع عن البيعة ليزيد، وبالتالي انفجر الموقف ضد معاوية، واضطر مروان أن يبلغه بما آل إليه الموقف من تأزم فكتب إليه يقول: "إن قومك قد أبوا إجابتك إلى بيعتك ابنك، فَارأ رأيك"(٨٣)

لم تكن معارضة هؤلاء الزعماء ذا تأثير على أهل المدينة فقط وإنما على واليها أيضا، إذ استنكر هو الآخر أسلوب معاوية في التعامل معه، وعبر عن ذلك بأن خرج من المدينة مغضبا في أهل بيته حتى نزل دمشق وتوجه للقاء معاوية، فلما وصل إلى باب سدته وحاول الحاجب منعه ضرب وجهه واقتحم على معاوية مجلسه، واقترب منه بحيث تناله يده فأغلظ القول له، مستنكراً عليه طريقته في استخدامه- وآل بيته- أداة لتحقيق طموحاته دون استشارتهم أو مشاركتهم، ووبخه حتى انتهى إلى تحذيره، بقوله: "فأقم الأمر يا ابن أبي سفيان، واهدىء من تأميرك الصبيان، واعلم أن لك في قومك نظراً، وأن لهم على مناوأتك وزراً" (٨٤).

ولا شك أن مثل هذا التهديد كاد يفجر غضب معاوية لولا أنه كظمه، وإمعانا منه في مداراة مروان استرضاه ووصله(٨٥)، لكن بعد أن عقد العزم على عزله من ولاية المدينة في أقرب وقت -وهو ما توقعه مروان نفسه- بحيث لم يحل العام التالي ٤٩ هـ (٨٦)، حتى عزله معاوية وعين مكانه سعيد بن العاص.

ولوكان معاوية شخصية عادية لقنع بما آلت إليه محاولاته حتى ذلك الحين من إحباطات، لكن همته لم

تقف به عند هذا الحد وإنما رأى أن يقوم بنوع من الدعاية لابنه، فبادر إلى الكتابة لولاته في الأمصار يدعوهم إلى تقريظه ويأمرهم أن يوفدوا وفودهم إليه في دمشق[٨٧] ليستفيد من اجتماعها هناك في تقوية الدعاية له وليضعها أمام الأمر الواقع. فلما اجتمعت عنده هذه الوفود استدعى الضحاك بن قيس وأمره أن يقوم في المسجد- بعدما يفرغ هو من خطابه- فيذكر للناس يزيد، ويثني عليه بما هو أهل له من الفضل والسياسة والعلم، ثم يعقّب على ذلك بدعوة معاوية إلى توليته العهد من بعده، واستطرد معاوية على هذه التعليمات مؤكداً له: "فإني قد رأيت وأجمعت على توليته" [٨٨]، وبذلك أفصح معاوية- بما لا يقبل الشك- عن نيته على المضي قدماً في هذا الأمر مهما كانت النتائج.

وإحكاما لحلقات ترتيبات هذه الدعاية والعمل على إنجاحها، فقد استدعى معاوية مجموعة من كبار الشخصيات أيضا وهم: عبدالرحمن بن عثمان الثقفي، وعبدالله بن مسعدة الفزاري، وثور بن معن السلمي، وعبدالله بن عصام الأشعري وأمرهم أن يتفرقوا في جنبات المسجد، وأن يتأهبوا- حينما يفرغ الضحاك من كلامه- ليقوموا ويصدّقوا على قوله، ثم يدعون معاوية إلى بيعة يزيد أيضا [٨٩].

وقد تمت هذه الدعاية المنظمة بالطريقة التى أردها معاوية، إذ بعدما انتهى من خطبته قام الضحاك أرادها فاستأذنه في الكلام، ولما أذن له مضى في خطبته التى ضمّنها كل ما حدده له معاوية من الثناء على يزيد ودعوته إلى توليته العهد؛ وما أن انتهى من خطبته حتى جاء دور الأشخاص المرتبين في جنبات المسجد، فقاموا واحدا تلو الآخر وانبروا يؤمّنون على ماذكره الضحاك، ويدعون معاوية أيضاً إلى مثل مادعاه إليه الضحاك[٩٠].

وبعدما أدى الجميع ما أنيط بهم من أدوار باتقان قام معاوية فسألهم، وكأنما أراد أن يلفت الأنظار إلى أن ما تم هو رغبة شعبية، فقال: أوكلكم قد أجمع رأيه على ما ذكرنا؟ فأجابوه جميعاً بالإيجاب؛ إلا الأحنف بن قيس- في وفد البصرة - الذى أبدى شديد إنكاره لهذا الاتجاه وختم معارضته بقوله: "إن أهل الحجاز والعراق لا يرضون بهذا، ولا يبايعون ليزيد، ماكان الحسن حيا"[٩١].

كان اعتراض الأحنف على بيعة يزيد بداية انقسام الوفود المجتمعة، فريق مؤيد للبيعة يمثله أهل الشام والكوفة، وآخر مناهض يمثله أهل البصرة والمدينة؛ وأخذ كل منهما يدافع عن وجهة نظره وموقفه. فانبرى الضحاك للرد على معارضة أهل البصرة، واتهم أهل العراق -بصفة عامة- بالنفاق والشقاق والجهالة، وأنكر أحقية الحسن أو ذويه في الخلافة مع وجود معاوية وآله، ثم أسدى لهم نصيحة مشوبة بالتهديد والوعيد الظاهرين. وكان من الطبيعي أن يرد عليه الأحنف ويدافع عن أحقية الحسن في الخلافة، ويذكرّ معاوية بما عاهد عليه الحسن ويطالبه بالوفاء به، وإلا فإن الأمور لن تحمد عقباها. وهنا انتفض عبدالرحمن بن عثمان فرد

على الأحنف تهديداته، وحث معاوية على أن يبرم أمره دون اعتبار لرأي المعارضين. وعند هذا الحد خشى معاوية اتساع هوة الخلاف ورأى إنهاء الموقف وكان قد ضاق ذرعا، فانتصب وهدد المعارضين وتوعدهم شر وعيد إلى أن انتهى إلى القول: "فإنا قد قدمنا وأنذرنا إن أغنى التقدم شيئا أو نفع النذر" (٩٢).

ولا شك في أن مثل هذا التهديد المباشر قد أثر على موقف الجبهة المعارضة، وأظهر لها أن مناهضتها لن تجديها نفعا، ومن ثم بدأت في مراجعة موقفها والتخفيف من حدة معارضتها، بأن أخذت تلقي تبعة الأمور على معاوية وأتباعه، وهذا ما يبدو واضحاً مما رد به الأحنف على معاوية قائلاً: "نخافكم إن صدقنا، ونخاف الله إن كذبنا، وأنت ياأمير المؤمنين أعلم بيزيد في ليله ونهاره، وسره وعلانيته، ومدخله ومخرجه، فإن كنت تعلمه لله تعالى ولهذه الأمة رضا فلا تشاور فيه، وإن كنت تعلم منه غير ذلك فلا تزوده الدنيا وأنت صائر إلى الآخرة، وإنما علينا أن نقول سمعنا وأطعنا "، في حين قال محمد بن عمرو ممثل وفد المدينة: "إن كل راع مسئول عن رعيته، فانظر من توليّ أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم"؛ وما كاد معاوية يسمع هذه الكلمات حتى انفجر غضبا وضيقا، وأخذ "يهتز حتى جعل يتنفس في يوم شات" (٩٣)، لكنه كعادته تمالك نفسه، واضطر أن ينهي الاجتماع ويصرف الوفود ليكون له مع المعارضين في المدينة والبصرة والشام شأن آخر.

كان من حظ معاوية -بقية عام ٤٩هـ - أن خلت المدينة من أهم زعمائها المعارضين لبيعة يزيد، وهم: عبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير؛ إذ اشتركوا في الحملة التى سيرت إلى عاصمة بلاد الروم (٩٤)؛ وكانت فرصة لمعاوية لكى يركز جهده في استمالة أهل البصرة والشام؛ واستخدم في ذلك المهاداة والملاطفة والمداراة؛ وقد أشار ابن الأثير(٩٥) والنويري (٩٦) إلى هذا الأسلوب بقولهما: "وكان معاوية يعطي المقارب ويداري المباعد، ويلطف به"؛ ويضيفان أن معاوية بهذه الوسيلة نجح حتى استوثق له أكثر الناس في البصرة وفي الشام وبايعوه. وبذلك لم يبق أمامه سوى أهل المدينة.

فلما انتهت الحملة المشار إليها وعاد زعماء المدينة إلى مدينتهم؛ شد معاوية الرحال إليها في عام ٥٠هـ، وما كاد يستقر في منزله حتى استدعى عبادلة قريش، وهم: عبدالله بن عباس، وعبدالله بن جعفر، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير، ولم يستدع إلى هذا الاجتماع -عن قصد- الحسن أو الحسين. فلما قدموا عليه أمر حاجبه ألا يأذن لأحد من الناس حتى يفرغ من هؤلاء الزعماء، وبدأ معاوية الحديث معهم في أمور متعددة وأخذ يقترب حثيثا من موضوعه الرئيسي، إلى أن قال لهم: "رأيت أن استخلف عليكم بعدي يزيد، ورأيته لكم رضا، وأنتم عبادلة قريش وخيارها... فردوا على أمير المؤمنين خيراً، رحمكم الله" (٩٧). وبهذا أوضح لهم معاوية-بما لا يقبل الجدل- أن القرار قراره، وأنه لا خيار لهم وما عليهم إلا الموافقة، حتى لا يكونوا مصدر قلق أو متاعب.

كان رد الفعل عنيفا بين هؤلاء الزعماء إذ انفجروا في معاوية واحدا بعد الآخر معترضين على سياسته معهم؛ فقال أحدهم: اتق الله يا معاوية، وأنت الحاكم بيننا وبين نفسك؛ وعابوا عليه أيضا تجاهله التام للحسن والحسين، إذ قال له آخر: فوالله ما أصبت الحق، ولا يجوز لك ذلك إلا بهما؛ ورفضوا اتجاهه إلى جعل الخلافة وراثية؛ وتمثل ذلك في قول عبدالله بن عمر : هذه الخلافة ليست بهرقلية ولا قيصروية ولا كسروية يتوارثها الأبناء عن الآباء، ولو كان كذلك لكنت القائم بها بعد أبي... وإنما هى ... لمن كان لها أهلا ممن ارتضاه المسلمون لأنفسهم. ولما طال الجدل معهم دون أن يجد معاوية منهم تجاوبا وتأكد له أن النقاش والمحاورة غير مجدية، أفصح لهم عن قراره النهائى مؤكدا على أن أمر الخلافة هو لبني عبد مناف خاصة وأنها لن تخرج منهم إلى يوم القيامة، وبالتالي فلا أمل لأي منهم فيها، وعليه فلا وجه للاعتراض؛ ثم أعرض عنهم وفض الاجتماع وانصرف راجعا إلى الشام تاركاً لهم فرصة أن يتدبروا الأمر جيداً. ومع ذلك فلم يقطع عنهم شيئا من صلاتهم وأعطياتهم [٩٨].

وما إن حل العام التالي (٥١ هـ) حتى مرض الحسن بن علي، ومن شدة تلهف معاوية على إزاحته من الساحة، كلف والي المدينة بأن يوافيه بأخبار الحسن أولا بأول؛ قائلا: "إن استطعت ألا يمضي يوم يمر بي إلا يأتيني فيه خبر فافعل" [٩٩]، فلما وافاه الخبر بوفاته أظهر شماتة[١٠٠] وغبطة وسرورا حتى سجد وسجد من كان معه[١٠١]، إلى الدرجة التى اتهم فيها معاوية بدس السم له عن طريق إحدى زوجات الحسن، في مقابل خمسين ألف درهم وتزويجها لابنه يزيد، ولما أتمت المهمة لم يف لها معاوية إلا بالشرط الأول فقط[١٠٢]. وسواء صدق ذلك أم لم يصدق، فإن وفاة الحسن أزالت عقبة كؤوداً كانت تحول بين معاوية وما يود إتمامه.

ومنذ ذلك الحين، عمد معاوية إلى انتهاج سياسة الشدة والعنف مع زعماء المعارضة في المدينة؛ بعدما فشل أسلوب الملاينة والملاطفة؛ وبعدما اختفي الحسن من المسرح السياسي، وكان وجوده إحدى الدعائم التى ارتكز عليها زعماء المدينة في معارضة البيعة ليزيد. ومن ثم كتب معاوية إلى سعيد بن العاص، واليه على المدينة، يأمره بدعوة أهلها إلى البيعة، على أن يوافيه بأسماء من سارع منهم ومن أبطأ. فلما وصل الكتاب سعيدا ودعا الناس إلى هذه البيعة أبطأوا عن إجابته، ولا سيما بنو هاشم الذين لم يجبه أحد منهم، مثل: الحسين بن عليّ، وعبدالرحمن بن أبي بكر، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن عباس، على الرغم من أن سعيدا أظهر معهم غلظة وشدة، وسطا بكل من أبطأ في الاستجابة؛ لاسيما عبدالله بن الزبير الذى كان من أشدهم إنكاراً لأمر البيعة [١٠٣].

وقد بلغ من شدة معارضة أهل المدينة أن يئس سعيد من تحقيق ما أوكل إليه، واضطر أن يكتب إلى معاوية يوقفه على تطور الأوضاع، ويستأذنه في استخدام قوة السلاح معهم، أو أن يشخص هو إليهم

بنفسه[١٠٤]. وعندما تلقى معاوية هذا الكتاب أعدّ رسائل إلى كبار زعماء المعارضة في المدينة وعلى وجه التحديد إلى كل من: عبدالله بن عباس، وعبدالله بن الزبير، وعبدالله بن جعفر، والحسين بن عليّ؛ يحذرهم فيها من مغبة التمادي في الإبطاء بالبيعة[١٠٥]، وبعث بهذه الرسائل إلى واليه سعيد ليتولى هو تسليمها لهم، على أن يتلقى منهم ردودهم عليها، ويرسلها بدوره إليه في دمشق؛ ليقرر ما يجب فعله بناء على مايجيبون به، وفي ذات الوقت أمره معاوية بالرفق مع هؤلاء الزعماء وبالذات مع الحسين؛ وحذره -على وجه الخصوص- من عبدالله بن الزبير[١٠٦].

وردت الرسائل إلى سعيد فأوصلها إلى الزعماء المذكورين ثم تلقى إجاباتهم عليها؛ وجميعهم ردوا فيها على اتهامات معاوية لهم، وأبدوا المعارضة التامة بل الكراهية لبيعة يزيد، وأصروا على موقفهم من الرفض[١٠٧]. فلما علم معاوية بهذه الإجابات كتب إلى واليه سعيد يأمره بأخذ أهل المدينة أخذا لا شفقة فيه ولا رحمة، بحيث لا يدع أحدا من المهاجرين أو الأنصار حتى يبايع؛ وفي ذات الوقت نبهه ألا يحرك غضب الزعماء أو يهيج مشاعرهم. وقد نفّذ سعيد التعليمات فأخذ أهل المدينة بأعنف ما يكون من القسوة والشدة؛ ورغم ذلك فقد تمسكوا بموقفهم ولم يبايعه أحد منهم حتى فقد سعيد أى أمل، فكتب إلى معاوية قائلا: "إنه لم يبايعني أحد، وإنما الناس تُبّع لهؤلاء النفر، فلو بايعوك بايعك الناس جميعا، ولم يتخلف عنك أحد"[١٠٨]، فأجابه معاوية يأمره: "ألا يحركهم إلى أن يقدم"[١٠٩]، وهكذا بدا أن معاوية أخذ على عاتقه معالجة موقف المعارضة بنفسه، بعدما أبدى واليه عجزه أكثر من مرة.

قصد معاوية المدينة في العام ٥٦ هـ، بهدف الحصول على بيعة زعمائها مهما كلفه الأمر حتى لو اضطر إلى استخدام العنف، ولذلك اصطحب معه قوة من أتباعه وقواته وحرسه بلغت ألف فارس [١١٠].

وما أن اقترب معاوية من المدينة حتى كان كبار شخصياتها -وفيهم زعماء المعارضة- قد خرجوا لاستقباله، فتلقاهم أسوأ استقبال وأغلظ لهم القول، وكان أول من لقيه منهم الحسين بن علي، فلما نظر إليه معاوية قال له : لا مرحبا ولا أهلا ! بدنة يترقرق دمها والله مهريقه ! فقال الحسين: مهلا فإنني والله لست بأهل لهذه المقالة، فرد عليه معاوية قائلا: بلى ولشر منها. ثم لقيه عبدالله بن الزبير فقال له معاوية: لا مرحبا ولا أهلا ! ثم وصفه بالثعلب المراوغ الذى يوشك أن يقتل نفسه بقوله: خب ضب تلعة يدخل رأسه فيضرب ذنبه، ويوشك والله أن يُؤْخذ بذنبه ويدق ظهره، وأمر حراسه أن ينحياه عنه فضربوا وجه راحلته. ثم لقيه عبدالرحمن بن أبي بكر فقال له معاوية : لا مرحبا ولا أهلا ! شيخ قد خرف وذهب عقله، ثم أمر بضرب وجه راحلته؛ ثم فعل بعبد الله بن عمر نحو ذلك [١١١].

وعلى الرغم من سوء ما قوبل به هؤلاء الزعماء من معاوية، فإنهم لم ينصرفوا عنه وإنما رافقوا ركبه

حتى دخل المدينة؛ وهو يتجاهلهم بحيث لم يلتفت إلى أي منهم طول الطريق، ولما دخل مجلسه أعرض عنهم ولم يأذن لهم بالدخول عليه كما يليق بهم؛ فتأكد لهم من هذه البداية أن الأمر لا يبشر بأدنى خير؛ وزاد الأمر سوءا أن معاوية أتبع هذا اللقاء بإلقاء خطاب في أهل المدينة ملأه مدحاً وثناء على ابنه يزيد، وختمه بتهديد واضح لكل المعارضين على بيعته، قائلا: ما أظن قوما بمنتهين حتى تصيبهم بوائق تجتث أصولهم، وقد أنذرت إن أغنت النذر، ثم أنشد متمثلا:

قد كنتُ حذرتك آل المصطلق   وقلتُ ياعمرو أطعْني وانطلق

إنك إن كلفتني مالم أطـــق   ساءك ماسرَّك مني من خُلق

دونك ما استسقيتَهُ فاحْسُ وذُقْ [112]

وقد يقال إن هذا المنهج في التعامل مع الخصوم لا يتفق مع السياسة العامة لمعاوية من الحلم واللين والأناة والملاينة والمصانعة، ولكنه ربما قصد ذلك على غير عادته لأسباب سياسية، حينما وجد أن الحزم والشدة في هذه الحالة هو الأمثل للقضاء على هذه الفرقة، التى طال أمد ملاينته وملاطفته لها، لذلك فما كان هناك ما يمنعه من تغيير هذا الأسلوب إلى غيره يكون أجدى وأنفع. ومن المعروف أن معاوية كان يغير سياسته ويشكلها حسب مقتضى الحال، فهو القائل: "لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت، قيل: وكيف يا أمير المؤمنين، قال: كانوا إذا مدّوها خليتها، وإذا خلوها مددتها" [113]. وكان أيضا يحلم في موضع الحلم، ويشتد في موضع الشدة [114]؛ وشخصية على هذه الشاكلة لم يكن عسيراً عليها أن تتقلب حسب الظروف. وليس من المستبعد أيضاً أن يكون قصد معاوية من هذه الشدة صرف أهل المدينة عن الالتفاف حول زعماء المعارضة حتى يجردهم من قوة شعبية يستندون عليها، ثم ينفرد بهم فيما بعد ليجرب معهم وسائل أخرى قد تحسم الأمر خاصة وأنه لم يبق غيرهم دون بيعة.

وعلى الرغم مما هَم به معاوية نحو زعماء المعارضة في المدينة، فإنه اضطر إلى إرجاء تنفيذه مؤقتا؛ ذلك أنه ما إن فرغ من إلقاء خطابه الذى أشرنا إليه، حتى توجه للقاء السيدة عائشة، وكان قد بلغها أنه هدد الحسين وأصحابه بالقتل إن لم يبايعوا ابنه يزيد، فلما دخل عليها عاتبته على هذا التهديد، وحضته على الاقتداء بأبي بكر وعمر؛ وكان عليه أن يسترضيها ويدافع عن نفسه ويبرر موقفه، فصور الأمر لها على أنه نوع من الضغط عليهم لأن الأمة كلها بايعت يزيد ولم يبق سواهم، وهم بموقفهم الرافض يفسدون الأمر عليه؛ إذقال لها: يا أم المؤمنين، هم أعز من ذلك، ولكني بايعت ليزيد وبايعه غيرهم، أفترين أن أنقض بيعة قد تمت؟. فلما سمعت منه ذلك أدركت أنه سيمضي في أمر البيعة لابنه، ولم تملك سوى أن تحثه على الرفق بهم، قائلة له: فاتق الله في هؤلاء الرهط ولا تعجل فيهم، فلعلهم لا يصنعون إلا ما أحببت؛ وحينذاك لم يجد هو

الآخر مفراً من أن يعدُها بأن يفعل ما أشارت به (١١٥).

هكذا كان على معاوية أن يكون عند حسن ظن السيدة عائشة ويفي لها بوعده تجاه زعماء المدينة، ويتخلى مؤقتا عما انتواه بشأنهم من شدة، ليعود إلى أسلوب الملاينة والملاطفة من جديد. ولذلك استدعاهم والتقى بكل منهم في جلسات انفرادية تمهيدية؛ ثم عاد فاستدعاهم في صبيحة اليوم التالي في جلسة جماعية دارت فيها مناقشات ومحاورات هادئة حينا وحامية أحيانا أخرى، استماتت فيها الجميع في الدفاع عن وجهة نظره (١١٦)، بحيث لم تسفر عن تزحزح أي منهم عن موقفه؛ وبالتالى فلم يحرز معاوية أدنى تقدم واضطر أن يصرف المجتمعين ويفض المجلس، وكان لذلك أثره على نفسه حتى إنه احتجب عن الناس عقب هذا اللقاء ثلاثة أيام.

أما الزعماء فقد باتوا يخشون على أنفسهم من بطش معاوية، فغادروا المدينة إلى مكة ليحتموا بحرمتها. ولما علم معاوية بخروجهم شد هو الآخر رحاله في إثرهم إلى مكة وما كاد يقترب منها حتى فوجىء بهم على رأس مستقبليه، لأنهم حينما بلغهم قدومه تدارسوا الأمر فيما بينهم؛ واتفقوا على الخروج لاستقباله على أمل أن يكون قد ندم على ماكان منه. فتلقاهم بترحاب بالغ، وكان أول من لقيه منهم الحسين بن علي، فقال له: مرحبا وأهلا بابن (بنت) رسول الله وسيد شباب المسلمين، وأمر له بدابة وركب وسايره، وفعل مثل ذلك مع الباقين، وأقبل يسايرهم لا يسير معه غيرهم حتى دخل مكة؛ وفي مكة ما كان يمضي يوم إلا ولهم منه صلة ومجالسة دون أن يذكر لهم شيئا عن البيعة؛ حتى قضى نسكه وحمل أثقاله وقرب مسيره؛ مما أثار انتباه الزعماء وقال بعضهم لبعض: "لاتخدعوا! فما صنع بكم هذا لحبكم، وما صنعه إلا لما يريد، فأعدّوا له جوابا (١١٧). وبعدما قلبوا النظر في الأمر أجمعوا على الامتناع كلية عن البيعة، وفوضوا عبدالله بن الزبير في أن يكون المتحدث باسمهم.

فلما استدعاهم معاوية، أدار معهم حواراً سياسيا يتميز بالدقة والنضال الفكري الحاد، بدأه بعرض مغر لهم إذ طلب منهم أن يبايعوا ابنه على أن يكونوا شركاءه في الحكم، ومستشاريه الذين لا يمضي من دونهم أمراً إلا بموافقتهم، فقال لهم قد علمتم سيرتي فيكم، وصلتي لأرحامكم، وحملي ماكان منكم، ويزيد أخوكم وابن عمكم، وأردت أن تقدموه باسم الخلافة، وتكونوا أنتم تولوّن وتعزلون وتؤمّرون. وتجبون المال وتقسّمونه، ولا يعارضكم - يزيد- في شيء من ذلك (١١٨).

بيد أن الزعماء لم يقعوا في حبائل هذا الإغراء المادى في السلطة والثروة، ولم يقتنعوا بمنطق معاوية فلم يستجيبوا له، وإنما خيروه -على لسان ابن الزبير- بين ثلاثة أمور إن كان حقا يريد المصلحة العامة وحماية

الأمة من خطر الفتنة بعده: إما أن يدع الناس على ماتركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليختاروا لأنفسهم من يشاءون؛ وإما أن يقتدي بأبي بكر فيعهد إلى رجل من قاصية قريش ليس من بني أبيه. وإما أن يفعل مثل عمر فيجعل الأمر شورى في رهط من المسلمين ليس فيهم أحد من ولده أو من بني أبيه. وواضح من هذه الخيارات أن الزعماء كانوا يرفضون بيعة يزيد رفضاً تاما. فلما فنّد معاوية هذه الخيارات ودحضها بأنه لايوجد بين المسلمين من هم في قامة أبي بكر أو عمر، وبأنه يخاف الاختلاف، وطلب منهم حلاً آخر غير هذه الخيارات فإنهم لم يتزحزحوا عن موقفهم قيد أنملة(١١٩).

عند هذا الحد تيقن معاوية أن الملاينة والنقاش الفكري لن يوصلاه إلى نتيجة مرضية؛ فتغاضى عن وعده للسيدة عائشة مكتفيا بأنه حاول الوفاء به، ولجأ مرة أخرى إلى التهديد والوعيد، فكشر عن أنيابه وهدد زعماء المعارضة بقوله: "فإني أحببت أن أتقدم إليكم، إنه قد أعذر من أنذر، إني كنت أخطب فيقوم القائم منكم فيكذبني على رءوس الناس، فأحمل ذلك وأصفح"، ثم استطرد بأنه سيلقي خطابا في المسجد، وأمرهم بالتزام الصمت حتى لا يعرضوا أنفسهم لما لا تحمد عقباه، وأقسم لهم: "لئن ردّ عليّ أحد منكم كلمة في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف إلى رأسه"، ثم حذرهم قائلا: "فلا يبقينّ رجل إلا على نفسه"، وفي النهاية أصدر أوامره -على مرأى منهم- إلى صاحب حرسه بأن يوكل بكل واحد من هؤلاء الزعماء الخمسة شرطيان يقفان على رأسه، ومع كل شرطي سيف، فإن نطق أى منهم بكلمة- بصدق أو كذب- ضربا رأسه بالسيف وقضيا عليه (١٢٠).

فلما جاء الغد جمع معاوية الناس واستدعى الزعماء الخمسة: الحسين بن علي، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير، وعبدالرحمن بن أبي بكر، وعبدالله بن عباس، وقام خطيبا وأشار إلى هؤلاء الزعماء وقال: إن هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم لايبرم أمر دونهم ولا يقض إلا عن مشورتهم، وإنهم قد رضوا وبايعوا ليزيد. ثم دعا الناس إلى البيعة فأقبلوا يبايعون، وهكذا تمت البيعة في مكة ثم انطلق معاوية إلى المدينة حيث بايعت هى الأخرى (١٢١). وعلى إثر ذلك انطلق معاوية إلى الشام بعد ما حقق هدفه الذى صارع من أجله طويلا، واستطاع بهذه الحيل أن يأخذ البيعة لابنه يزيد من عامة المسلمين، وأجبر الزعماء على التزام السكوت وعدم الجهر بالاعتراض أو الإنكار.

ولا شك في أن الذهول أصاب أهل الحجاز حينما رأوا زعماءهم يلزمون السكوت وكانوا بالأمس يجهرون بالمعارضة؛ فتوجهوا إليهم مستفسرين في شبه إنكار واتهام بأنهم باعوا بيعتهم بالأموال، إذ قالوا لهم: "زعمتم أنكم لم تبايعوا، فلما أرضيتم وأعطيتم بايعتم!"، وحاول الزعماء رد التهمة عن أنفسهم، إلا أن أحدا لم يسمع لقولهم بأنهم لم يبايعوا وإنما أُجبروا؛ وذهبت أيمانهم أدراج الرياح، وضاعت صرخاتهم اليائسة: "والله

مافعلنا ولا بايعنا، ولكن كادنا -معاوية- وخفنا القتل" (١٢٢).

وهنا ينبغي أن نناقش سلوك معاوية مع هؤلاء الزعماء، وهل كان جاداً في تهديدهم بالقتل لو أنهم ردوا عليه ادعاءه؟

قد يرى البعض أن الجواب بالإيجاب هو أقرب الاحتمالات وأدنى إلى تصور معاوية في ذلك الوقت الذى نفد فيه صبره وأعيته الحيل، وأعد الترتيبات لتنفيذ تهديده بأن أقام على رأس كل من المعارضين شرطيين بسيوفهما. وقد يرى بعض آخر أن هذا الرأى بعيد عن الصواب وأن معاوية ما كان يقدم على حماقة كهذه، لأنها أولا تتنافي مع طبعه، ولأنها ثانيا ستفجر ضده غضبة جماهيرية عارمة؛ ولأنها ثالثا ستوصد أمامه كل الأبواب لتحقيق ما يبغيه من البيعة لابنه يزيد. ولكن الأقرب إلى التصور أنه لجأ إلى هذا اللون غير المألوف من التهديد ليخيف المعارضين فيلزموا الصمت ويؤثروا السلامة. ومن العجيب حقاً أن هذه السياسة قد أوصلت معاوية إلى ما تمنى دون صعوبة، ومن ثم كانت كلمات دفاع الزعماء عن أنفسهم بأن معاوية كادهم وخافوا القتل.

خلاصة القول، أن معاوية قد استطاع باتباع أساليب مرنة متباينة، كالملاينة والمصانعة أحيانا، والشدة والحزم حينا آخر، والتهديد بالقتل حينا ثالثا، أن يحقق رغبته في البيعة لابنه يزيد، وفي إرساء دعائم مبدأ جديد في النظام السياسي الإسلامي، وهو حصر الخلافة في أسرة بني أمية، من منطلق حرصه على أن تظل فيها يتوارثها أبناؤها من بعده واحدا بعد الآخر، وكان هذا الإجراء -كما سبق القول- أخطر تغيير قام به معاوية في فترة خلافته، سواء فيما يتصل بالوسائل أو بالأهداف على حد سواء، ومن ثم أصبح في الإمكان القول بأن أمر الأمة -منذ ذلك الحين- قد انتقل نهائيا إلى بني أمية.

لكن لاينكر أحد أنه رغم ما أحرزه معاوية من نجاح، فإنه بإصراره على فرض هذا التغيير السياسي على الأمة، قد زرع أسس الخلاف بينه وبين جمع غفير من هذه الأمة؛ بل ووضع الدولة كلها والخلافة من بعده في ظروف عصيبة، وهو ماكان يشعر به معاوية في قرارة نفسه شعوراً لا شك فيه؛ كما كان يدرك أن الحجاز صار يطفو على بركان من غضب، وأن زعماء المدينة يترقبون الأحداث وينتظرون موته ليعلنوا رأيهم بصراحة تامة في خلافة ابنه يزيد، وليكون لهم معه شأن آخر. ولعل مايؤيد هذا الفهم أن معاوية وهو في مرض وفاته أوصى ابنه يزيد بأن يسارع قبل أي شيء في أخذ البيعة من هؤلاء الزعماء، وقال له: إني لا أتخوف أن ينازعك هذا الأمر الذى استتب لك، إلا أربعة نفر من قريش: الحسين بن علي، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير، وعبدالرحمن بن أبي بكر؛ ثم مضى يرسم له السياسة التى ينبغي عليه أن يسلكها مع كل منهم للتصدي لمعارضتهم، أو التخلص منهم إذا لم يكن هناك من حل سواه (١٢٣).

ولذلك فما أن تولى يزيد الخلافة، عقب وفاة أبيه في رجب من عام ٦٠هـ، حتى وجه همّه إلى الحصول

على بيعة هؤلاء النفر بأي شكل ولو وصل الأمر إلى حد القتل، فكان أول مافعله أن أرسل إلى واليه على المدينة رسالة سرية عاجلة وهامة، يأمره فيها أن يأخذ هؤلاء النفر أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا، فإن امتنعوا فلا يتردد في ضرب أعناقهم ثم يبعث برؤسهم إليه في دمشق (١٢٤).

وقد أثارت هذه التعليمات ثائرة زعماء المدينة، وفجرت كوامن غضبهم على يزيد، ووجدوا أنه لابد من عمل يصححوا به الاتجاه الذى وضع معاوية الأمة على منعطفه، ليعيدوا لمنصب الخلافة هيبته ومكانته، وللأمة حقها في اختيار خلفائها وممارسة الرقابة عليهم. ومن ثم شهدت السنوات الثلاث التى حكم فيها يزيد ثورات ثلاثة عارمة، كانت بداية لسلسلة متلاحقة من الثورات المناهضة لحكم الأمويين بعامة على مدار تاريخهم الذى امتد حتى عام ١٣٢هـ.

وكان الحسين بن علي أول من تحمل مسئولية التعبير عن هذا الاتجاه، فخرج ثائرا على يزيد، وخاض المعركة ضده في ثبات الأبطال حتى سقط قتيلا في كربلاء، بعدما سطر وثيقة معارضته بدمائه التى حركت مشاعر الذين استكانوا للأمويين، فقد أفزعتهم هذه الدماء وظلت تطاردهم، وتحركهم للثورة مرة بعد أخرى ضد خلفاء بني أمية، حتى ليقال أن دماء الحسين كانت المعول الأول الذى ظلت ضرباته تتواصل حتى قضت في النهاية على دولة بني أمية.

وعلى إثر مقتل الحسين حمل لواء معارضة الأمويين عبدالله بن الزبير، الذى كان الشخصية المهيأة نفسيا وقياديا لتحمل هذه المسئولية، فكان -مثلما رأينا- أبرز الزعماء الذين عارضوا بيعة يزيد، والمتحدث الرسمي باسمهم، وهو الذى ناقش معاوية نقاشا حادا يقوم على الحجة الواضحة والمنطق المفحم، ومن ثم اتصف بالشجاعة والثبات في الوقوف ضد سياسة بني أمية، ولذلك كان معاوية يخشاه وحذر ابنه منه وأوصاه بعدم التهاون معه إذا ثار عليه، فجاء في نص وصيته له: "وأما الذى يجثم لك جثوم الأسد ويراوغك مراوغة الثعلب، فإن أمكنته فرصة وثب فذاك ابن الزبيرفإن هو فعلها بك فظفرت به فقطّعه إربا إربا"(١٢٥). وهذا يدل بلاشك على مدى صلابة ابن الزبير، ومدى تخوف معاوية منه. وعلى كل فقد ظل ابن الزبير يناوىء يزيد وثلاثة بعده من خلفاء بني أمية، على مدى عشر سنوات متصلة، بحيث صارت ثورته أطول ثورة جابهها الأمويون في تاريخهم، وبذلوا جهودا مضنية دون أن يتمكنوا من القضاء عليها إلا في عام ٧٤هـ.

ثم كانت الثورة الثالثة، وهى ثورة المدينة المنورة، التى تفجرت بالغضب ضد السلطة الأموية ممثلة في يزيد، لأنها لم تلتزم -في نظرها- بالمثل القويمة، ووجدت في حكم يزيد وفي طريقة وصوله إلى الخلافة لونا جديدا لم تألفه، وكان أهل المدينة يحسون إحساساً داخليا بأنهم هم الحراس على التطبيق الإسلامى الصحيح؛ والرقباء على سلوك الخلفاء، بحكم كون مدينتهم مثوى الرسول صلى الله عليه وسلم وموطن صحابته، وأول حاضرة للدولة الإسلامية؛ ومن ثم رأوا أنه لابد من الثورة والمطالبة بالعودة إلى الطريق السليم، واتباع

السياسة القويمة. ورغم نبل هذه الأهداف فقد تمكنت جيوش يزيد من القضاء على تلك الثورة الشعبية التى سجلت حيوية أهل المدينة في مقاومة حكم بني أمية.

وإذا كان بنو أمية قد تخلصوا من هذه الثورات -التى ذكرناها- فإنهم لم يتمكنوا من القضاء على ثورات جبهات المعارضة الأخرى المتتالية- كالشيعة والخوارج- أو توهين قوتهم، وبالرغم مما بذله الأمويون من جهود مضنية ومطاردات متواصلة لهم، فإن هذه الجبهات ظلت على عدائها للأمويين وتواصلت ثوراتها ضدهم حتى تلاطمت أمواج الثورة في أماكن متفرقة من الدولة طيلة حكم بني أمية. وصار تاريخ هذه الجبهات المعارضة مرتبطا تماما بتاريخ الأمويين، ووجودها يعدّ الجانب المقابل لوجودهم، ومن ثم كان نضالهم وماترتب عليه من آثار، كإنهاك الدولة عسكريا وإرهاقها اقتصاديا، أحد الأسباب الرئيسية الذى حول الدولة الأموية في النهاية إلى كيان متداع معرض للانهيار مع إرهاصات أول إعصار.

لكن ينبغي ألا يمر الحديث عن هذا التغيير الخطير في الدولة الإسلامية، قبل أن نتعرف أولا على الأسس التى بنى عليها معاوية قناعته بجعل الحكم وراثيا لابنه يزيد كولي للعهد وخليفة للمسلمين من بعده، وثانيا الأسس التى ارتكز عليها المعارضون في رفض البيعة ليزيد.

فأما الأسس التى بنى عليها معاوية قناعته بجعل الحكم وراثيا في ابنه ومن ثم في بني أمية؛ فإنما تعود إلى أنهم كانوا يشكلون عصب الإدارة والسياسة في ذلك الوقت، وبالتالى فإنهم ماكانوا يتركون الخلافة تفلت من أيديهم بسهولة؛ فضلا عن قوتهم وعصبيتهم التى كان يمكنهم الاعتماد عليها في إخضاع العرب لسطوتهم وبأسهم؛ وفي ذلك يقول ابن خلدون، مبرراً انتقال الخلافة إلى الوراثة في بني أمية، إن معاوية لم يكن يستطيع أن "يدفع ذلك عن نفسه وقومه، فهو أمر طبيعي ساقته العصبية بطبيعتها واستشعرته بنو أمية، ومن لم يكن على طريقة معاوية في اقتفاء الحق من أتباعهم فاعصوصبوا عليه، واستماتوا دونه، ولو حملهم معاوية على غير تلك الطريقة وخالفهم في الانفراد بالأمر لوقع في افتراق الكلمة التي كان جمعها وتأليفها أهم عليه من أمر ليس وراءه كبير مخالفة. وقد كان عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه يقول إذا رأى القاسم بن محمد بن أبي بكر: لو كان لي من الأمر شيء لوليته الخلافة، ولو أراد أن يعهد إليه لفعل. ولكنه كان يخشى من بني أمية أهل الحل والعقد، لما ذكرناه فلا يقدر أن يحوّل الأمر عنهم، لئلا تقع الفرقة"[١٢٦].

ومن ناحية أخرى ينبغي أن نضع في اعتبارنا أن الزمن وقتذاك قد تغير عن ذي قبل، وأن الأمة الإسلامية في فترة الأمويين قد اختلفت اختلافا كبيرا عنها في عهد الراشدين؛ إذ كانت قد اتسعت الرقعة الجغرافية التى بسط الأمويون سلطانهم عليها؛ وتعددت الأجناس التى انضوت تحت لوائهم، ولم يكن قد تأصل الإسلام في نفوسها بعد، كما أن جيلا من أبناء الصحابة قد نما ووصل إلى مرحلة ينشد فيها لنفسه الدور السياسي الذى يلائمه، وهو مع هذا لم يتمسك بما كان يتمسك به أباؤه وأجداده من المثل الإسلامية السامية؛

ولعل في كلمة عبدالملك بن مروان الشهيرة تلخيصا لهذا كله حينما قال لجماهير المسلمين في خطاب عام له: "تكلفوننا أعمال المهاجرين الأولين ولا تعملون مثل أعمالهم"(١٢٧). ولذلك فقد اقتضت هذه المستجدات تغييرات سياسية تلائمها وتتمشى معها حتى يتمكن الخلفاء من القبض على دفة الأمور، وتوجيه حركة المجتمع لتحقيق الأهداف التى يسعون إليها، سواء كانت أهدافا عامة أم ترتكز على مصالح شخصية، أو مبادىء إسلامية يجب أن تحكم وتسود.

ومن ناحية ثالثة، فلم يعد الدين -وحده- هو الذى يحرك السياسة مثلما كان الحال في عهد الراشدين، ولعل ابن خلدون(١٢٨) قد صور هذا التغيير بصورة جيدة بقوله بعدما تحدث عن عهد الراشدين ، "وأما من بعدهم من لدن معاوية فكانت العصبية قد أشرفت على غايتها من الملك، والوازع -الدافع- الديني قد ضعف، واحتيج إلى الوازع السلطاني والعصباني، فلو عُهد إلى غير من ترتضيه العصبية لردّت ذلك العهد، وانتقض أمره سريعا، وصارت الجماعة إلى الفرقة والاختلاف". ثم ناقش ابن خلدون في موضوعية نظام ولاية العهد، فذكر أنه ولاية مشروعة بالسوابق التاريخية، وأن معاوية في هذا كان متبعاً سياسة أبي بكر وعمر؛ وأن هدفه إنما كان المحافظة على وحدة الأمة وتجنيبها افتراق الكلمة والوقوع في الفتن والاضطراب. ثم يؤكد ابن خلدون نظريته تلك بأن العصبية كان هدفها آنذاك حماية الدين ورعاية مصالح الأمة، وهذا الاعتبار هو الذى سوّغ هذا "الانقلاب الدستورى"، بالرغم من معارضة بعض القادة والزعماء لهذا المبدأ أصلا، وخروجهم على بني أمية مرة بعد أخرى، ولذلك فهو يصرح بأنه لاينبغى إلا أن نحسن الظن ما أمكن في نظام ولاية العهد، وأن الهدف منه ليس حفظ التراث على الأبناء فليس هذا هدفا إسلاميا؛ ولا هو من المقاصد الدينية، ويحذر من التردي في هذا الخطأ حتى لا يتطرق العبث إلى المناصب الدينية (١٢٨)، وعلى رأسها بلا شك الخلافة على المسلمين.

وقد يقال أن معاوية لو كان مخلصا حقا في رعاية مصالح الأمة لعهد إلى شخص آخر غير ابنه يزيد، مثلما فعل أبو بكر وعمر مثلا، وبذلك كان يدفع عن نفسه مظنة الاتهام بأنه إنما كان يريد أن تصبح الخلافة ميراثا يتوارثه الأبناء عن الآباء؛ وعلى ذلك يرد ابن خلدون(١٢٩) بقوله: "والذى دعا معاوية لإيثار ابنه يزيد بالعهد دون سواه، إنما هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس واتفاق أهوائهم، باتفاق أهل الحل والعقد عليه حينئذ من بني أمية، إذ بنو أمية يومئذ لا يرضون سواهم وهم عصابة قريش وأهل الملة أجمع وأهل الغلب منهم، فآثره -أى آثر ابنه يزيد- بذلك دون غيره، ممن يظن أنه أولى بها".

وبالإضافة إلى ماذكره ابن خلدون، يمكن أن نضيف عوامل أخرى ومنها أن معاوية كان مقدرا قدرات ابنه السياسية والحربية والعملية، ويرى أنه ليس بأقل من غيره ممن يطمحون إلى الخلافة إن لم يتفوق عليهم،

فهو قد تربى ونشأ في بلاط الخلافة، وخبر السياسة وتمرس على وسائلها، وهو لهذا -وبحكم كونه ابنه- جدير بالخلافة من بعده؛ كما أن معاوية كان يدرك أن أهل الشام، وقد غدوا يشكلون القوة الحقيقية في دولة بني أمية، لن يرضوا أن تخرج الخلافة عن مدينتهم دمشق بأى حال؛ كما أن قبيلة كلب -أخوال يزيد- سوف تقاتل بشراسة من يتطلع إلى الخلافة غير يزيد؛ وهكذا يكون معاوية قد قدر -نتيجة لكل هذه العوامل التى تحكم الموقف السياسي- أنه لو ترك الأمر دون ولي عهد، ويزيد بصفة خاصة، فسوف تتعرض الدولة لخطر الانقسام والحرب الأهلية؛ وبخاصة أن هناك سوابق تاريخية في هذا المجال، وهى الأحداث التى تلت الفتنة في عهد عثمان؛ ومن ثم كان حرص معاوية على أخذ البيعة لابنه يزيد.

أما الموقف الذى يستحق وقفة تأمل ومراجعة فهو موقف زعماء المعارضة، وهؤلاء قد أقاموا حجتهم في رفض البيعة ليزيد على أساس أنه لا يصلح خليفة للمسلمين؛ فهو في نظرهم فتى عابث لا تسلم حياته الخاصة من الشبهات والمطاعن؛ فيذكر اليعقوبي[١٣٠] أنه كان: "يلعب بالكلاب والقرود والفهود، ويلبس المصبغ، ويدمن الشراب، ويمشي على الدفوف"؛ ثم يضيف أن عبدالله بن عمر قال عنه: "نبايع من يلعب بالقرود والكلاب، ويشرب الخمر، ويظهر الفسوق". أما المسعودي[١٣١] فيقول: "كان يزيد صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب". ويضيف ابن طباطبا [١٣٢] إلى ذلك أنه "كان موفر الرغبة في اللهو والقنص والخمر والنساء والشعر".

ومن الملاحظ أن هؤلاء المؤرخين ذوو ميول شيعية واضحة، وأنهم هم الذين انفردوا باتهام يزيد بشرب الخمر وإظهار الفسق؛ أما المصادر الأخرى المعتدلة -وإن كان لبعض مؤلفيها ميول شيعية كالطبري- فإنها لم تذكر عن يزيد شيئا من هذه الموبقات؛ بل إن مايرويه الطبري[١٣٣] في هذا الصدد هو رأى زياد بن أبيه في يزيد من أنه "صاحب رَسْلة وتهاون، مع ماقد أولع به من الصيد" ، وينقل ابن الأثير[١٣٤] والنويري[١٣٥] هذا الرأى بنصه. ومن ثم فإنه ليست في هذه المصادر إشارة إلى أن يزيد كان يشرب الخمر أو أنه أولع بالنساء، بل إن ابن الأثير[١٣٦] والطبري[١٣٧] والنويري[١٣٨] يؤكدون على أن يزيد كفّ عن كثير مما كان يصنع عندما علم أن ذلك يغضب الجماهير منه، ويجعل تقاة المسلمين لا يرضون بولايته. وحتى ما تذكره المصادر من أنه قد ظهرت منه بعض التصرفات المنافية للآداب الإسلامية، فإنها تنص على أن ذلك قد حدث منه أثناء خلافته[١٣٩] أما قبل ذلك فلم يكن في حياته الشخصية بهذا الاستهتار أو العبث الذى تحاول بعض المصادر الشيعية أن تصمه به.

وعلى ذلك فلا نميل إلى القول بأن السبب الذى من أجله عارض زعماء المدينة هو رفضهم سلوكيات يزيد الشخصية -وإن كان ذلك يدخل في الاعتبار- وإنما هو حرصهم على أن يظل منصب الخلافة حقاً للأمة

تختار بإرادتها الحرة من تشاء لولايتها، وأنهم رأوا فيما يقوم به معاوية -في هذا الشأن- إهداراً لهذا المبدأ "الدستورى" الذى يجب أن يظل سائداً مهما كانت الظروف، ومن هنا كانت صيحة عبدالرحمن بن أبي بكر- التى أشرنا إليها من قبل- في وجه مروان بن الحكم؛ كما كانت مناورات الزعماء المعارضين مع معاوية تدور حول هذا المبدأ، وتذكيره بضرورة اتباع سنن الراشدين، ولم يأت -خلال هذا النقاش- ذكر لشخص يزيد سواء بالقدح أو المدح على الإطلاق؛ وفي هذا المجال يؤكد ابن خلدون أن فسق يزيد حدث بعد خلافته، وحينذاك فقط اختلف الصحابة في شأنه، فمنهم من رأى الخروج عليه ونقض بيعته مثل عبدالله بن الزبير والحسين ومن رأى رأيهما، ومنهم من أبى الخروج خوفا من إثارة الفتنة وكثرة القتل(١٤٠).

وعلى الجملة، فإن ماقام به معاوية من البيعة لابنه يزيد قد أرسى تقليدين لم يكن من السهل الموافقة عليهما آنذاك؛ وهذان التقليدان هما:

أولا: إرساء سابقة "دستورية" خطيرة في نقل السلطة العليا في النظام السياسي وجعلها تأخذ شكلاً واحداً وهو الشكل الوراثى ، واختصاص بني أمية وحدهم بالحق في تولي هذا المنصب، ومن هنا ذهبت الأمة إلى القول -بحق- أن معاوية قضى على نظام الخلافة وحوله إلى نظام ملكي، وكان هو نفسه يعترف بهذا ويقول: "أنا أول الملوك"(١٤١) .

حقيقة إن نظام الوراثة في بني أمية لم يظل محدوداً داخل الأسرة في نطاقها الضيق؛ ولم يكن له تقاليد ثابتة يتم الالتزام بها في كل الأحوال؛ ولم يستقر بشكل دقيق خلال عصر بني أمية. وبكلمات أخرى لم تنتقل الخلافة على الدوام من الأب إلى الابن وإنما كانت تأخذ مفهوما أوسع، فهى ملك العائلة الكبيرة بأسرها؛ ولذلك كانت تنتقل أحيانا إلى الأبناء وأحيانا أخرى إلى الأخوة؛ أو إلى أبناء العم أو الأعمام أنفسهم، بل إن بعض الأمويين كان يترك النص على وليّ العهد تماما ولم يستخلف أحداً؛ مثلما فعل معاوية الثانى الذى رفض أن يعهد لأحد من بعده قائلا: "لا والله لا أتزودها، ماسعدت بحلاوتها، فكيف أشقى بمرارتها"(١٤٢)، ثم توفي ولم يستخلف أحدا بعدما تنازل عن الخلافة وترك الأمر شورى للناس، ليختاروا من يرونه أهلا لها(١٤٣). كما أن بعض الأمويين قد وصل إلى الخلافة عن طريق القوة كيزيد بن الوليد الذى وثب على الخلافة وقتل ابن عمه الوليد(١٤٤) عام ١٢٦هـ؛ ومروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين في عام ١٢٧هـ (١٤٥). أى أن طريق الوراثة لم يترسخ تماما في ظل الأمويين؛ ولذلك يمكن القول أن العصر الأموي بقى عصر نزاع بين ثلاثة مبادىء، تمثلت فيما يلي:

١- المبدأ الوراثي الذى يؤكد وجوب الوراثة المباشرة من الأب إلى الابن، وطبقه بعض الأمويين

وعلى رأسهم معاوية الأول (٤١-٦٠ هـ)؛ وابنه يزيد الأول (٦٠-٦٣هـ)؛ ثم عبدالملك بن مروان (٦٥-٨٦ هـ)[١٤٦].

٢- المبدأ الإسلامي الذى يؤكد الشورى ومثّله عمر بن عبدالعزيز (٩٩-١٠١ هـ)؛ ومن قبله معاوية الثانى (٦٤هـ).

٣- المبدأ القبلي، الذى يؤكد بقاء الخلافة في أسرة واحدة على أن يتولاها أفضل أفرادها خبرة وحنكة وتجربة، وأبرز مثل على هذا المبدأ اختيار مروان بن الحكم (٦٤-٦٥هـ) بعد تنحي معاوية الثانى، وكذلك حينما عهد يزيد الثانى (١٠١-١٠٥ هـ) إلى أخيه هشام ثم إلى ابنه الوليد من بعده (١٤٧).

ورغم التصادم بين هذه المبادىء الثلاثة فقد نجح الأمويون في الإبقاء على الحكم في أسرتهم قرابة إحدى وتسعين سنة، دون أن يسمحوا لأحد منازعتهم فيه أو أن يستله من أيديهم، إلى أن تمكن بنو العباس من القضاء عليهم في عام ١٣٢هـ.

ثانيا: إلغاء إرادة الأمة ومشاركتها الفعلية في اختيار خلفائها إلغاء تاماً، وإن ظلت تحتفظ بهذا الحق في صورته الشكلية البحتة، فمعاوية قد اختار بنفسه من يخلفه ولم يقتصر على مجرد إعلان اسمه أو تقديمه للأمة لكى تبدي رأيها فيه بالموافقة أو الممانعة، وإنما حملها على الموافقة وضرورة الالتزام بمن اختاره، ثم أخذ له البيعة عليها حتى لا تجد مبرراً للتراجع عن البيعة أو نقضها فيما بعد. وخطورة هذا الاتجاه أنه أصبح سابقة تاريخية اقتدى بها كل من جاء بعد معاوية من الحكام، ليس في دولة الأمويين وحدهم؛ وإنما في شتى الدول التى شهدها العالم الإسلامي فيما بعد.

الحواشى:

(١) قارن: ابن هشام، سيرة النبى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠١هـ، ٤ ص ٣٣٩-٣٤٠؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، بيروت ١٤١٢هـ، ٢ ص ١٢٣؛ الشهرستانى، الملل والنحل، بيروت ١٩٦١، ١ ص ٣٤؛ ابن كثير، السيرة النبوية، القاهرة ١٩٦٥، ٤ ص ٤٩٢-٤٩٣.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف مصر، ٤ ص ٤٢٧، ٤٢٩؛ ابن حجر، الصواعق المحرقة، مصر بدون، ص١٤٥؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، مصر ١٣٨٨هـ، ١ ص ٤٧.

(٣) ابن قتيبة، نفسه، ١ ص ١٩.

(٤) الذهبي، السيرة النبوية، بيروت ١٤٠٩هـ، ص ٤٠٩؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥، ١٩ ص ٣٧٨؛ ابن قتيبة، الإمامة، ١ ص٢٣؛ الطبري، تاريخ، ٤ ص ٢٣٨؛ ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، بيروت ١٣٩٥هـ، ٤ ص١٠٨؛ صحيح البخاري، بيروت بدون تاريخ، ٥ ص٢١.

(٥) الأحكام السلطانية، بيروت ١٤١٠هـ، ص٤٣؛ وانظر أيضاً : الطبري، تاريخ ، ٣ ص ٤٢٨؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، مصر ١٣٨٩هـ، ص ٨٢؛ النويري، نهاية، ١٩ ص ١٥١، ١٥٣؛ ابن حجر، الصواعق، ص١١٥.

(٦) قارن في ذلك: ابن قتيبة، الإمامة، ١ ص ٢٤-٢٥؛ السيوطي، تاريخ، ص ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥؛ النويري، نهاية، ١٩ ص ٣٧٣، ٣٧٩-٣٨٠؛ الآمدي، الإمامة من أبكار الأفكار، دار الكتاب العربي ١٤١٢هـ، ص٢٨٧؛ ابن حجر، الصواعق، ص١٣٢-١٣٣.

(٧) أنظر :الريس، النظريات السياسية الإسلامية، القاهرة ١٩٧٩، ص ٢١٢ ومابعدها؛ هذا ولم يتفق فقهاء المسلمين على تعريف محدد لأهل الحل والعقد وإن حددوا شروطا يجب توافرها فيها. أنظر :الماوردي، الأحكام، ص ٣١؛ الفراء، الأحكام السلطانية، بيروت ١٤٠٣هـ، ص ١٩، الريس، نفسه، ص ٢٢٢ وما بعدها، ص ٢٣٠-٢٣١.

(٨) الفصل، ٤ ص ١٧٦؛ وانظر أيضا: ابن خلدون، المقدمة، دار الشعب بالقاهرة بدون تاريخ، ص١٨٩؛ الريس، النظريات، ص ٢٣٨-٢٣٩.

(٩) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت ١٩٨٠، ٢ ص ٢٩٢.

(١٠) ابن قتيبة، الإمامة، ١ ص٢٤؛ ابن الأثير، نفسه، ٣ ص ٣٤، ٢٠٠؛ النويري، نهاية، ١٩ ص٣٧٨.

(١١) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٠هـ، ص ٨٦.

(١٢) عن نص الرسالة انطر: النويري، نهاية، ١٩ ص٥٠٥.

(١٣) ابن الأثير، الكامل، ٣ ص٩٨.

(١٤) الطبري، تاريخ، ٤ص٥٦٢؛ النويري، نهاية، ١٩ص ٥٠٥.

(١٥) ابن قتيبة، الإمامة، ١ ص ٨٠؛ ابن طباطبا، الفخري، ص ٩٠.

(١٦) ابن حزم، الفصل، ٤ص١٦٠؛ ابن حجر، الصواعق، ص٢٤٩.

(١٧) في ذلك انظر المراسلات بين علي ومعاوية عند: الدينوري، الأخبار الطوال، بغداد ١٩٥٩، ص١٦٢-١٦٤؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الفكر ١٩٧٣، ٢ص ٣٨١.

(١٨) ابن قتيبة، الإمامة، ١ ص٤٧، ٤٨؛ السيوطي، تاريخ، ص١٦٢، ١٦٣.

(١٩) الدينوري، الأخبار، ص١٤٢؛ اليعقوبي، تاريخ، ٢ ص١٨٠؛ الطبري، تاريخ ،٤ ص٤٣٨، ٤٣٩.

(٢٠) الطبري، تاريخ، ٤ ص٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١؛ ابن قتيبة، الإمامة، ١ ص٩٥-٩٦.

(٢١) النويري، نهاية، ٢٠ ص١٩؛ ابن طباطبا، الفخري، ص٨٩.

(٢٢) الطبري، تاريخ، ٤ ص٤٣٩؛ المسعودي، مروج، ٢ ص٣٦٤؛ النويري، نهاية، ٢٠ ص ١٩.

(٢٣) النويري، نفسه، ٢٠ ص ١٧.

(٢٤) ابن الأثير، الكامل، ٣ ص١٠١؛ النويري، نفسه، ٢٠ ص ٢١.

(٢٥) الدينوري، الأخبار، ص١٤١؛ ابن الأثير، نفسه، ٣ ص ١٠٣؛ النويري، نفسه ٢٠ ص٢١-٢٢.

(٢٦) بتفصيل أنظر: ابن قتيبة، الإمامة، ١ ص ٦٥-٦٨؛ ابن الأثير، نفسه، ٣ص١٠٤؛ النويرى، نفسه، ٢٠ ص٢٤.

(٢٧) قارن: ابن قتيبة، نفسه، ١ ص ٨٣-٨٤؛ الدينورى، الأخبار، ص ١٤١-١٤٢؛ الطبرى، تاريخ، ٤ ص٤٤٤.

(٢٨) عن هذه المراسلات أنظر: ابن قتيبة، نفسه، ١ ص٩٢-٩٤؛ الدينورى، نفسه، ص ١٥٦ وما بعدها؛ الطبرى، نفسه، ٤ص٥٦١- ٥٦٢، ٥٧٣-٥٧٤.

(٢٩) الدينورى، نفسه ، ص ١٥٩-١٦٠.

(٣٠) عن وقائع هذه الحرب يمكن الرجوع إلى: الطبرى، نفسه، ٤ ص ٤٧٧ ومابعدها؛ ابن الأثير، الكامل، ٣ ص١٠٥ ومابعدها.

(٣١) ابن قتيبة، الإمامة، ص ١٠٨ وما بعدها؛ النويرى؛ نهاية، ٢٠ ص ١٠٠، ١٠٨-١٠٩، ١١١-١١٦.

(٣٢) الدينورى، الأخبار، ص١٨٨-١٨٩؛ النويرى، نفسه، ٢٠ ص١٤٤.

(٣٣) بتفصيل أنظر على سبيل المثال: النويرى، نفسه، ٢٠ ص١٤٥ وما بعدها.

(٣٤) قارن: ابن قتيبة، الإمامة، ١ص ١١٦، ١١٨، ١٢٣؛ اليعقوبى، تاريخ، ٢ ص ١٨٨-١٨٩؛ الطبرى، تاريخ، ٥ ص٤٩-٥٠؛ الآمدى، الإمامة، ص٢٠٠؛ ابن طباطبا، الفخرى، ص٩١.

(٣٥) الدينورى، الأخبار، ص١٩٤-١٩٦؛ ابن قتيبة، نفسه، ١ ص ١٣٢-١٣٣؛ الطبرى، نفسه، ٥ ص٥٣-٥٤.

(٣٦) السيوطى، تاريخ، ص١٧٥؛ ابن قتيبة، نفسه، ١ ص١٣٧؛ الدينورى، نفسه، ص٢٠١؛ النويرى، نهاية، ٢٠ ص١٥٩.

(٣٧) الدينورى، نفسه، ص ٢٠٢ ومابعدها؛ ابن حزم، الفصل، ٤ ص١٦٢.

(٣٨) عن هذه المعارك أنظر: الدينورى، نفسه، ص٢٠٥ وما بعدها؛ الطبرى، نفسه ٥ص٨٥ ومابعدها المسعودى، مروج، ٢ ص٤١٥ وما بعدها.

(٣٩) أنظر بتفصيل: ابن الأثير، الكامل، ٣ ص١٧٧ ومابعدها؛ الطبرى، نفسه، ٥ ص ٩٥ وما بعدها.١٣٣ وما بعدها؛١٣٩ ومابعدها.

(٤٠) الدينورى، نفسه، ص ٢٠٢؛ ابن قتيبة، الإمامة، ١ ص ١٦٢؛ ابن طباطبا، الفخرى، ص٩٣.

(٤١) ابن قتيبة، نفسه ١ ص١٦٣؛ اليعقوبى، تاريخ، ٢ص ٢١٤؛ الدينورى، نفسه، ص٢١٦، ابن حجر، الصواعق، ص ١٦٤.

(٤٢) الدينورى، نفسه، ص ٢١٨؛ الطبرى، تاريخ، ٥ ص١٥٨، ١٥٩؛ ابن الأثير، الكامل، ٣ ص٢٠٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، بيروت، بدون تاريخ، ٨ ص ١٤، ١٧.

(٤٣) ابن حجر، الصواعق، ص ١٦٤-١٦٥؛ ابن قتيبة، الإمامة، ١ ص ١٦٣؛ السيوطى، تاريخ، ص١٩١-١٩٢؛ ابن كثير، البداية، ٨ ص ٤١؛ وإن كان المسعودى (التنبية والإشراف، ليدن ١٨٩٣، ص٣٠٠) ينص على أن تنازل الحسن تم على شرط أن تظل الخلافة لمعاوية ماكان حياً، فإذا مات فالأمر للحسن.

(٤٤) الطبرى، تاريخ، ٥ص ١٦٣؛ ابن الأثير، الكامل،٣ ص ٢٠٣؛ النويرى، نهاية،٢٠ص٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٩، ٢٨٨؛ ابن حجر، الصواعق، ص١٦٤.

(٤٥) الدينورى؛ تاريخ، ص ٢١٨؛ الطبرى، تاريخ، ٥ ص١٦٠، ١٦٢، ١٦٣؛ ابن الأثير، الكامل، ٣ ص٢٠٤.

(٤٦) اليعقوبى، تاريخ، ٢ ص٢١٧.

(٤٧) ابن كثير، البداية، ٨ ص ١٣١، ١٣٢.

(٤٨) الطبرى، تاريخ، ٥ص١٦٤.

(٤٩) ابن طباطبا، ص٧٠-٧١.

(٥٠) نفسه، ص ١٠٤.

(٥١) أنظر قصة ذلك. نفسه، ص ١٠٥.

(٥٢) بتفصيل أنظر: نفسه، ص١٠٤-١٠٥.

(٥٣) النويرى، نهاية، ٢٠ص٣٢٤، ٣٤٠، ٣٧٢؛ ابن طباطبا، نفسه، ص١٠٤.

(٥٤) ابن طباطبا، ص١٠٥.

(٥٥) مروج، ٣ ص ٤٥.

(٥٦) ابن حزم، الفصل، ٤ ص ١٥٤؛ ابن خلدون؛ المقدمة، ص١٩١؛ ابن الأثير، الكامل، ٣ ص ٩٨.

(٥٧) المقدمة، ص ١٩١.

(٥٨) الفخرى، ص ١٠٤.

(٥٩) نقلا عن النويرى، نهاية، ٢٠ص ٣٤٠؛ ابن الأثير، الكامل، ٣ ص٢٤٢.

(٦٠) الطبرى، تاريخ، ٥ ص٣٣٧؛ ابن طباطبا، الفخرى، ص ١٠٧.

(٦١) ابن قتيبة، الإمامة، ١ص١٠، وعن غير ذلك من المعارضات أنظر أيضا: الآمدى، الإمامة، ص ٢٤١-٢٤٢.

(٦٢) نفسه، ١ ص ٢٠.

(٦٣) الطبرى، تاريخ، ٥ص ٣٠١.

(٦٤) النويرى، نهاية، ٢٠ ص ٣٢٤، ابن كثير، البداية، ٨ ص ٤٨.

(٦٥) ابن الأثير، الكامل، ٣ ص ٢٤٩؛ النويرى، نهاية، ٢٠ ص٣٤٨.

(٦٦) أعلاه.

(٦٧) ابن قتيبة، الإمامة، ١ ص ١٦٥، وأنظر أيضا ابن الأثير والنويرى،أعلاه.

(٦٨) اليعقوبى، تاريخ، ٢ ص ٢٢٠.

(٦٩) الطبرى، تاريخ، ٥ ص ٣٠٢.

(٧٠) قارن: ابن الأثير، الكامل، ٣ ص ٢٤٩؛ النويرى، نهاية، ٢٠ ص ٣٤٩.

(٧١) الطبرى، تاريخ، ٥ ص٣٠٢، ابن الأثير، نفسه، ٣ ص٢٤٩-٢٥٠؛ النويرى، نفسه، ٢٠ ص ٣٥٠.

(٧٢) ابن قتيبة، الإمامة، ١ ص ١٦٩.

(٧٣) الطبرى، تاريخ، ٥ ص ٣٠٣؛ ابن الأثير، الكامل، ٣ ص ٢٥٠.

(٧٤) نهاية، ٢٠ ص ٣٥١.

(٧٥) أنظر: ابن قتيبة، الإمامة، ١ ص ١٩.

(٧٦) قارن: الطبرى، تاريخ، ٣ ص٤٢٨؛ السيوطى، تاريخ، ص ٨٢؛ النويرى، نهاية، ١٩ ص ١٥٣.

(٧٧) النويرى، نفسه، ٢٠ ص ٣١٨.

(٧٨) أعلاه، ٢٠ ص ٣١٧-٣١٨؛ وانظر أيضا، ابن الأثير ، الكامل، ٣ ص ٢٢٥، وإن كان ابن كثير(البداية، ٨ص ٣١) ينفي عن معاوية هذا الاتهام.

(٧٩) النويرى، نفسه، ٢٠ ص ٣٥١-٣٥٢؛ ابن الأثير، نفسه، ٣ ص ٢٥٠.

(٨٠) السيوطى، تاريخ، ص ١٩٦، ٢٠٣؛ ابن الأثير، نفسه، ٣ ص٢٥٠؛ النويرى، نفسه، ٢٠ ص ٣٥٢.

(٨١) النويرى، نفسه، ١٩ ص ١٤٠-١٤١.

(٨٢) ابن الأثير، نفسه، ٣ص ٢٥٠؛ النويرى، نفسه، ٢٠ ص ٣٥١.

(٨٣) ابن قتيبة، الإمامة، ١ص١٧٥.

(٨٤) ابن قتيبة، نفسه، ١ ص ١٧٥-١٧٦.

(٨٥) المسعودى، مروج، ٣ ص٣٨؛ ابن قتيبة، الإمامة، ١ص١٧٦-١٧٧.

(٨٦) النويرى، نهاية، ٢٠ ص٣١٩.

(٨٧) ابن الأثير، الكامل، ٣ص٢٥٠؛ النويرى، نهاية، ٢٠ ص ٣٥٣.

(٨٨) ابن قتيبة، الإمامة، ١ ص ١٦٦؛ المسعودى، مروج، ٣ ص٣٦.

(٨٩) أعلاه.

(٩٠) ابن الأثير، الكامل، ٣ص٢٥١؛ النويرى، نهاية، ٢٠ ص ٣٥٤؛ ابن قتيبة، الإمامة، ١ ص١٦٦-١٦٨.

(٩١) ابن قتيبة، نفسه، ١ ص١٦٩.

(٩٢) نفسه، ١ ص ١٧٠ - ١٧١.

(٩٣) قارن في ذلك: ابن الأثير، الكامل، ٣ ص٢٥٠-٢٥١؛ النويرى، نهاية، ٢٠ ص٣٥٣ - ٣٥٤؛ابن قتيبة، الإمامة، ١ ص ١٧١.

(٩٤) النويرى، نفسه، ٢٠ ص ٢٦٨.

(٩٥) الكامل، ٣ ص ٢٥١.

(٩٦) نهاية، ٢٠ ص ٣٥٥.

(٩٧) ابن قتيبة، الإمامة، ١ ص ١٧٢.

(٩٨) نفسه، ١ ص ١٧٣-١٧٤.

(٩٩) نفسه، ١ ص ١٧٥.

(١٠٠) الدينورى، الأخبار، ص ٢٢٢.

(١٠١) ابن قتيبة، نفسه ١ ص ١٧٥.

(١٠٢) النويرى، نهاية، ٢٠ ص ٣٢٢-٣٢٣. ابن حجر، الصواعق، ص١٦٩ وإن كان ينسب ذلك إلى يزيد، أما ابن كثير (البداية، ٨ ص ٤٣) فينفي عن يزيد ومعاوية هذا الاتهام.

(١٠٣) ابن قتيبة، الإمامة، ١ ص ١٧٧.

(١٠٤) أعلاه.

(١٠٥) راجع نصوص هذه المراسلات عند: ابن قتيبة، نفسه، ١ ص١٧٨-١٧٩.

(١٠٦) نفسه، ١ ص ١٧٨.

(١٠٧) راجع نصوصها عند ابن قتيبة، نفسه، ١ ص١٧٩-١٨١.

(١٠٨) نفسه، ١ ص ١٨٢.

(١٠٩) نفسه، ١ ص١٨٣.

(١١٠) ابن العربى، العواصم من القواصم، بيروت ١٣٩٩هـ، ص ٢١٥؛ ابن الأثير، الكامل، ٣ ص٢٥١؛ النويري، نهاية، ٢٠ ص ٣٥٥.

(١١١) ابن الأثير، نفسه، ٣ ص ٢٥١؛ النويرى، نفسه، ٢٠ ص ٣٥٥.

(١١٢) ابن الأثير، أعلاه؛ النويرى، نفسه، ٢٠ ص ٣٥٦.

(١١٣) اليعقوبى، تاريخ، ٢ ص ٢٣٨.

(١١٤) ابن طباطبا، الفخرى، ص ١٠٤.

(١١٥) قارن في ذلك: ابن قتيبة، الإمامة، ١ ص١٨٣؛ ابن الأثير، الكامل، ٣ص ٢٥١؛ النويرى، نهاية، ٢٠ص٣٥٦.

(١١٦) عن هذه اللقاءات قارن: ابن قتيبة، الإمامة، ١ ص١٨٣-١٨٨؛ الطبرى، تاريخ، ٥ص٣٠٣-٣٠٤.

(١١٧) ابن الأثير، الكامل، ٣ ص٢٥٢؛ النويرى، نهاية، ٢٠ ص٣٥٧.

(١١٨) أعلاه، وأنظر أيضا: ابن العربى، العواصم ، ص٢٢٠.

(١١٩) ابن قتيبة، الإمامة، ١ ص١٨٩-١٩٠؛ ابن الأثير، نفسه، ٣ ص٢٥٢؛ النويرى، نفسه، ٢٠ ص٣٥٧-٣٥٨.

(١٢٠) قارن: ابن قتيبة، نفسه، ١ ص١٩٠؛ ابن الأثير، أعلاه؛ النويرى، نفسه؛ ٢٠ص٣٥٨؛ ابن العربى، نفسه، ص٢٢١.

(١٢١) ابن الأثير، نفسه، ٣ ص٢٥٢؛ النويرى، نفسه، ٢٠ ص ٣٥٨-٣٥٩، ابن العربي، نفسه، ص٢٢١.

(١٢٢) ابن الأثير، أعلاه؛ النويرى، نفسه، ٢٠ ص٣٥٩؛ ابن العربي، نفسه، ص٢١٨، ٢٢٢.

(١٢٣) عن نص الوصية، أنظر: ابن الأثير، نفسه، ٣ ص٣٥٩-٣٦٠؛ الطبرى، تاريخ، ٥ص ٣٢٢-٣٢٣؛ الدينورى، الأخبار، ص٢٢٥-٢٢٦؛ النويرى، نهاية، ٢٠ ص٣٦٥-٣٦٦؛ ابن طباطبا، الفخرى، ص١١١-١١٢.

(١٢٤) قارن: الطبرى، نفسه ٥ ص٣٣٨؛ الدينورى، نفسه، ص ٢٢٧؛ ابن قتيبة، الإمامة، ١ ص٢٠٤؛ ابن الأثير، الكامل، ٣ص٢٦٣؛ النويرى، نفسه، ٢٠ص٣٧٧؛ ابن كثير، البداية، ٨ص١٤٧-١٤٨؛ البعقوبى، تاريخ، ٢ ص٢٤١؛ ابن العربي، نفسه، ص٢٢٩.

(١٢٥) عن نص الوصية راجع مصادر الحاشية ١٢٣.

(١٢٦) المقدمة، ص ١٨٤.

(١٢٧) السيوطى، تاريخ، ص٢١٨.

(١٢٨) أنظر: المقدمة، ص ١٨٤، ١٨٧-١٨٩.

(١٢٩) نفسه، ص١٨٨.

(١٣٠) تاريخ، ٢ص ٢٢٠، ٢٢٨.

(١٣١) مروج، ٣ ص٧٧.

(١٣٢) الفخرى في الآداب السلطانية، ص٥٥، ١١٣.

(١٣٣) تاريخ الرسل والملوك، ٥ ص ٣٠٢.

(١٣٤) الكامل في التاريخ، ٣ ص ٢٥٠.

(١٣٥) نهاية، ٢٠ ص ٣٥٠.

(١٣٦) الكامل، ٣ ص ٢٥٠.

(١٣٧) تاريخ، ٥ص٣٠٣.

(١٣٨) نهاية، ٢٠ ص ٣٥٠.

(١٣٩) ابن خلدون، المقدمة، ص ١٨٤ ، ١٨٩.

(١٤٠) المقدمة، ص١٨٩؛ وأنظر أيضا: السيوطى، تاريخ، ص٢٠٩).

(١٤١) اليعقوبى، تاريخ، ٢ص٢٣٢؛ النويري، نفسه، ٢٠ص٣٧٢؛ ابن كثير، البداية، ٨ ص١٣٥.

(١٤٢) ابن قتيبة، الإمامة، ٢ ص [illegible]؛ ابن طباطبا، الفخرى، ص١١٨؛ ابن حجر، الصواعق، ص٢٥٨.

(١٤٣) السيوطى، تاريخ، ص٢١١؛ المسعودى، مروج، ٣ ص٨٢؛ النويرى، نهاية، ٢٠ ص ٥٠٠.

(١٤٤) السيوطى، نفسه، ص٢٥٢؛ ابن قتيبة، الإمامة، ٢ ص١٣٥-١٣٦؛ ابن طباطبا، الفخرى، ص١٣٤-١٣٥.

(١٤٥) السيوطى، نفسه، ص٢٥٤؛ ابن قتيبة، نفسه، ٢ ص ١٣٦؛ ابن طباطبا، نفسه، ١٣٧.

(١٤٦) السيوطى، نفسه، ص٢١٥.

(١٤٧) نفسه، ص٢٤٧، ٢٥٠.

الملاحق

ملحق رقم (١)

نص رسالة نائلة بنت الفرافصة
إلى معاوية بن أبى سفيان بشأن اغتيال
عثمان بن عفان وحثه على القصاص من قتلته [(١)]

أما بعد ، فإنى أذكركم بالله الذى أنعم عليكم ، وعلمكم الإسلام ، وهداكم من الضلالة ، وأنقذكم من غواية الكفر ، ونصركم على العدو ، وأسبغ عليكم النعمة ، فأنشدكم الله تعالى ، وأذكركم حقه وحق خليفته أن تنصروه بعزمة الله عليكم ، فإنه قال تعالى : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله " .

وإن أمير المؤمنين بغى عليه ، ولو لم يكن له عليكم حق إلا حق الولاية ثم أتى عليه بما أتى لحق على كل مسلم يرجو أيام الله أن ينصره لقدمه فى الإسلام ، وحسن بلائه ، فإنه أجاب داعى الله ، وصدق كتابه ورسوله ، والله أعلم به إذا انتجبه ، فأعطاه شرف الدنيا وشرف الآخرة .

وإنى أقص عليكم خبره ، لأنى مشاهدة أمره كله حتى أفضى إليه .
إن أهل المدينة حصروه فى داره يحرسونه ليلهم ونهارهم ، قياماً على أبوابه بسلاحهم ، يمنعونه كل شىء قدروا عليه حتى منعوه الماء يحضرونه الأذى ، ويقولون له الإفك ، فمكث هو ومن معه خمسين ليلة ، وأهل مصر قد أسندوا أمرهم إلى محمد ابن أبى بكر وعمار بن ياسر ، وكان علّى مع المحرضين للمصريين فى أهل المدينة ، ولم يقاتل مع أميرالمؤمنين ولم ينصره ، ولم يأمر بالعدل الذى أمر الله تبارك وتعالى به ، فظلت تقاتل خزاعة ، وبكر ، وسعد بن بكر ، وهذيل ، وطوائف من مزينة ، وجهينة ، وأنباط يثرب ، ولا أرى سائرهم ، ولكنى قد سميت الذين كانوا أشد الناس عليه فى أول أمره وآخره ، ثم إنه رمى بالنبل والحجارة ، فقتل ممن كان فى الدار ثلاثة نفر ، فأتوه يصرخون إليه ليأذن لهم فى القتال ، فنهاهم عنه ، وأمرهم أن يردوا إليهم نبلهم فردوها إليهم ، فلم يزدهم ذلك على القتال إلا جرأة فى الأمر وإغراقاً ، ثم أحرقوا باب الدار .

---

(١) النويرى ، نهاية الأرب ، ١٩ ص ٥٠٥ .

فجاءه نفر من أصحابه وقالوا : إن فى المسجد ناساً يريدون أن يأخذوا أمر الناس بالعدل ، فأخرج إلى المسجد حتى يأتوك ، فانطلق ، وقد كان نفر من قريش على عامتهم السلاح ، فلبس درعه ، وقال لأصحابه : لولا أنتم مالبست درعا ، فوثب عليه القوم ، فكلمهم الزبير ، وأخذ عليهم الميثاق في صحيفة ، بعث بها إلى عثمان رضى الله عنه ، إن عليكم عهد الله وميثاقه الا تعروه بشىء ، فكلموه وتحرجوا ، فوضع السلاح فلم يكن إلا وضعه حتى دخل عليه القوم يقدمهم ابن أبى بكر ، حتى أخذوه بلحيته ودعوه باللقب ، فقال :أنا عبد الله وخليفته ، فضربوه فى رأسه ثلاث ضربات ، وطعنوه فى صدره ثلاث طعنات ، وضربوه على مقدم الجبين فوق الأنف ضربة أسرعت فى العظم ، فسقطت عليه ، وقد أثخنوه وبه حياة ، وهم يريدون قطع رأسه ليذهبوا به ، فأتتنى بنت شيبة بن ربيعة ، فألقت بنفسها معى عليه ، فوطئنا وطئا شديداً وعرينا من ثيابنا ، وحرمة أمير المؤمنين أعظم ، فقتلوه رحمه الله فى بيته ، وعلى فراشه .

وقد أرسلت إليكم بثوبه ، وعليه دمه ، وإنه والله لئن كان أثم من قتله لا يسلم من خذله ، فأنظروا أين أنتم من الله عز وجل ، فإنا نشتكى ما مسنا إليه ، ونستنفر وليه ، وصالح عباده ، ورحمة الله على عثمان ، ولعن الله من قتله ، وصرعهم في الدنيا والآخرة مصارع الخزى والمذلة ، وشفى منهم الصدور .

ملحق رقم (٢)

ما قاله مروان بن الحكم والى المدينة
لمعاوية بن أبى سفيان فى شأن تولية يزيد العهد (١)

قال بعد التسليم على معاوية بالخلافة :

"إن الله عظيم خطره ، لا يقدر قادر قدره ، خلق من خلقه عبادا ، جعلهم لدعائم دينه أوتادا ، هم رقباؤه على البلاد ، وخلفاؤه على العباد ، أسفر بهم الظلم ، وألف بهم الدين ، وشدّد بهم اليقين ، ومنح بهم الظفر ، ووضع بهم من استكبر ، فكان من قبلك من خلفائنا يعرفون ذلك فى سالف زماننا ، وكنا نكون لهم على الطاعة إخوانا ، وعلى من خالف عنها أعوانا ، يشدّ بنا العضد ، ويقام بنا الأود ، ونستشار فى القضية ، ونستأمر في أمر الرعية ، وقد أصبحنا اليوم فى أمور مستحيرة ، ذات وجوه مستديرة ، تفتح بأزمة الضلال ، وتجلس بأهواء الرجال ، يؤكل جزورها ، وتمق أحلابها فما لنا لا نستأمر فى رضاعها ونحن فطامها وأولات فطامها ، وايم الله لولا عهود مؤكدة ، ومواثيق معقدة ، لأقمت أود وليها ، فأقم الأمر يابن أبي سفيان وأهدىء من تأميرك الصبيان ، واعلم أن لك فى قومك نظرا ، وأن لهم على مناوأتك وزرا " .

ما رد به معاوية على كلام مروان (٢)

" إن الله قد جعل لكل شىء أصلا ، وجعل لكل خير أهله ، ثم جعلك فى الكرم منى محتدا ، والعزيز منى والدا ، اخترت من قروم قادة ، ثم استللت سيد سادة ، فأنت ابن ينابيع الكرم ، فمرحبا بك وأهلا من ابن عم ، ذكرت خلقا مفقودين ، شهداء صدّيقين ، كانوا كما نعت ، وكنت لهم كما ذكرت ، وقد أصبحنا فى أمور مستحيرة ، ذات وجوه مستديرة ، وبك والله يابن العم نرجو استقامة أودها ، وذلولة صعوبتها ، وسفور ظلمتها ، حتى يتطأطأ جسيمها ، ويركب بك عظيمها ، فأنت نظير أمير المؤمنين بعده ، وفى كلّ شدّة عضده ، وإليك عهد عهده ، فقد وليتك قومك ، وأعظمنا فى الخراج سهمك ، وأنا مجيز وفدك ، ومحسن رفدك ، وعلى أمير المؤمنين غناك ، والنزول عند رضاك " .

---

(١) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ،١ ص ١٧٦ .
(٢) نفسه ، ١ ص ١٧٦ – ١٧٧ .

ملحق رقم (٣)

ما تكلم به الضحاك بن قيس
في الثناء على يزيد ، ودعوة معاوية إلى البيعة له [(١)]

بعد أن حمد الله وأثنى عليه ، قال :

" أصلح الله أمير المؤمنين ، وأمتع به ، إنا قد بلونا الجماعة والألفة ، والاختلاف والفرقة ، فوجدناها ألمّ لشعثنا ، وأمنةلسبلنا ، وحاقنة لدمائنا ، وعائدة علينا فى عاجل ما نرجو وآجل ما نؤمل ، مع ما ترجو به الجماعة من الألفة ، ولا خير لنا أن نترك سدى ، والأيام عوج رواجع ، والله يقول : (كلّ يوم هو فى شأن) ، ولسنا ندرى ما يختلف به العصران ، وأنت ياأمير المؤمنين ميت كما مات من كان قبلك من أنبياء الله وخلفائه ، نسأل الله تعالى بك المتاع ، وقد رأينا من دعة يزيد ابن أمير المؤمنين ، وحسن مذهبه ، وقصد سيرته ، ويمن نقيبته مع ما قسم اللّه له من المحبة فى المسلمين ، والشبه بأمير المؤمنين ، فى عقله وسياسته وشيمته المرضية ، ما دعانا إلى الرضا به فى أمورنا ، والقنوع به فى الولاية علينا ، فليوله أمير المؤمنين - أكرمه اللّه - عهده ، وليجعله لنا ملجأ ومفزعا بعده ، نأوى إليه إن كان كون فإنه ليس أحد أحقّ بها منه ، فاعزم على ذلك، عزم اللّه لك فى رشدك ، ووفقك فى أمورنا " .

ما قاله عبد الرحمن بن عثمان
بشأن دعوة معاوية إلى البيعة لابنه يزيد [(٢)]

بعد أن حمد الله وأثنى عليه قال :

" أصلح الله أمير المؤمنين ، إنا قد أصبحنا فى زمان مختلفة أهواؤه ، قد احدودبت علينا سيساؤه ، واقطوطبت علينا أدواؤه ، وأناخت علينا أبناؤه ، ونحن نشير عليك بالرشاد ، وندعوك إلى السداد ، وأنت - ياأمير المؤمنين - أحسننا نظرا وأثبتنا بصرا ، ويزيد ابن أمير المؤمنين قد عرفنا سيرته ، وبلونا علانيته ، ورضينا ولايته ، وزادنا بذلك انبساطا ، وبه اغتباطا ، ما منحه اللّه من الشبه بأمير المؤمنين والمحبة فى المسلمين ، فاعزم على ذلك ، ولا تضق به ذرعا ، فاللّه تعالى يقيم به الأود ، ويردع به الألدّ ، وتأمن به السبل ، ويجمع به الشمل ، ويعظم به الأجر ، ويحسن به الذخر " .

---

(١) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ١ ص ١٦٦ ، وقارنه بما ورد عند ابن الأثير ، الكامل ، ٣ ص ٢٥١ ، النويرى ، نهاية ، ٢٠ ص ٣٥٣ - ٣٥٤ .

(٢) ابن قتيبة ، نفسه ، ١ ص ١٦٧ .

ما قاله ثور بن معن
بشأن دعوة معاوية إلى البيعة لابنه يزيد (١)

بعد أن حمد الله وأثنى عليه ، قال : " أصلح الله أمير المؤمنين ، إنا قد أصبحنا فى زمان صاحبه شاغب ، وظله ذاهب مكتوب علينا فيه الشقاء والسعادة ، وأنت يا أمير المؤمنين ميت نسأل اللّه بك المتاع ويزيد ابن أمير المؤمنين أقدمنا شرفا ، وأبذلنا عرفا ، وقد دعانا إلى الرضا به ، والقنوع بولايته ، والحرص عليه ، والاختيار له ، ما قد عرفنا من صدق لسانه ووفائه ، وحسن بلائه ، فاجعله لنا بعدك خلفا ، فإنه أوسعنا كنفا ، وأقدمنا سلفا ، وهو رتق لما فتق ، وزمام لما شعب ، ونكال لمن فارق ونافق ، وسلم لمن واظب وحافظ للحقّ ، أسأل اللّه لأمير المؤمنين أفضل البقاء والسعادة والخيرة فيما أراد ، والتوطن فى البلا د وصلاح أمر جميع العباد " .

ما قاله عبد الله بن عصام
بشأن دعوة معاوية إلى البيعة لابنه يزيد (٢)

بعد أن حمد الله وأثنى عليه ، قال :
" أصلح اللّه أمير المؤمنين ، وأمتع به ، إنا قد أصبحنا في دنيا منقضية ، وأهواء منجذمة نخاف هدّها ، وننتظر جدّها ، شديد منحدرها ، كثير وعرها ، شامخة مراقيها ، ثابتة مراتبها ، صعبة مراكبها ، فالموت يا أمير المؤمنين وراءك ووراءالعباد ، لا يخلد فى الدنيا أحد ولا يبقى لنا أمد ، وأنت يا أمير المؤمنين مسئول عن رعيتك ، ومأخوذ بولايتك ، وأنت أنظر للجماعة ،وأعلى عينا بحسن الرأى لأهل الطاعة ، وقد هديت ليزيد فى أكمل الأمور ، وأفضلها رأيا ، وأجمعها رضا ، فاقطع بيزيد قالة الكلام ، ونخوة المبطل ، وشغب المنافق ، واكبت به الباذخ المعادى ، فإن ذلك ألّم للشعث ، وأسهل للوعث ، فاعزم على ذلك ، ولا تترامى بك الظنون " .

---

(١) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ١ ص ١٦٧ .
(٢) نفسه ، ١ ص ١٦٨ .

ما قاله عبد الله بن مسعدة الفزارى
بشأن دعوة معاوية إلى البيعة لابنه يزيد (١)

بعد أن حمد الله وأثنى عليه ، قال :
" أصلح اللّه أمير المؤمنين ، وأمتع به ، إن اللّه قد آثرك بخلافته ، واختصك بكرامته ، وجعلك عصمة لأوليائه ، وذا نكاية لأعدائه ، فأصبحت بأنعمه جذلا ، ولما حملك محتملا ، يكشف اللّه تعالى بك العمى ، ويهدى بك العدى ، ويزيد ابن أمير المؤمنين أحسن الناس برعيتك رأفة ، وأحقهم بالخلافة بعدك ، قد ساس الأمور ، وأحكمته الدهور ، ليس بالصغير الفهيه ، ولا بالكبير السفيه ، قد احتجن المكارم ، وارتجى لحمل العظائم ، وأشدّ الناس فى العدوّ نكاية ، وأحسنهم صنعا فى الولاية ، وأنت أغنى بأمرك ، وأحفظ لوصيتك ، وأحرز لنفسك . أسأل اللّه لأمير المؤمنين العافية فى غير جهد ، والنعمة فى غير تغيير " .

ما قاله الأحنف بن قيس
معارضا القوم فى دعوتهم معاوية إلى البيعة لابنه يزيد (٢)

بعد أن حمد اللّه وأثنى عليه ، قال :
" أصلح اللّه أمير المؤمنين ، إن الناس قد أمسكوا فى منكر زمان قد سلف ، ومعروف زمان مؤتنف ، ويزيد ابن أمير المؤمنين نعم الخلف ، وقد حلبت الدهر أشطره يا أمير المؤمنين ، فاعرف من تسند إليه الأمر من بعدك ، ثم اعصى أمر من يأمرك ، لا يغررك من يشير عليك ، ولا ينظر لك ، وأنت أنظر للجماعة ، وأعلم باستقامة الطاعة ، مع أن أهل الحجاز وأهل العراق لا يرضون بهذا ، ولا يبايعون ليزيد ما كان الحسن حيا " .

---

(١) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ١ ص ١٦٨ .
(٢) نفسه ، ١ ص ١٦٩ .

ما رد به الضحاك بن قيس على الأحنف بن قيس (١)

بعد أن حمد الله وأثنى عليه قال :

" أصلح الله أمير المؤمنين . إن أهل النفاق من أهل العراق ، مروءتهم فى أنفسهم الشقاق ، وألفتهم فى دينهم الفراق ، يرون الحقّ على أهوائهم ، كأنما ينظرون بأقفائهم ، اختالوا جهلا وبطرا ، لا يرقبون من الله راقية ، ولا يخافون وبال عاقبة ، اتخذوا إبليس لهم ربا ، واتخذهم إبليس حزبا ، فمن يقاربوه لا يسرّوه ، ومن يفارقوه لا يضرّوه ، فادفع رأيهم يا أمير المؤمنين فى نحورهم ، وكلامهم فى صدورهم ، ما للحسن وذوى الحسن فى سلطان اللّه الذى استخلف به معاوية فى أرضه ؟ هيهات لا تورث الخلافة عن كلالة ، ويحجب غير الذكر العصبة ، فوطنوا أنفسكم يا أهل العراق على المناصحة لإمامكم ، وكاتب نبيكم وصهره ، يسلم لكم العاجل ، وتربحوا من الآجل .

ما أجاب به الأحنف بن قيس على الضحاك بن قيس (٢)

بعد أن حمد الله وأثنى عليه ، قال :

" يا أمير المؤمنين ، إنا قد فررنا عنك قريشا ، فوجدناك أكرمها زندا ، وأشدّها عقدا ، وأوفاها عهدا ، وقد علمت أنك لم تفتح العراق عنوة ، ولم تظهر عليها قعصا ، ولكنك أعطيت الحسن بن علّى من عهود اللّه ما قد علمت ، ليكون له الأمر من بعدك ، فإن تف فأنت أهل الوفاء ، وإن تغدر تعلم ، واللّه إن وراء الحسن خيولا جيادا ، وأذرعا شدادا ، وسيوفا حدادا ، إن تدن له شبرا من غدر ، تجد وراءه باعا من نصر ، وإنك تعلم أن أهل العراق ما أحبوك منذ أبغضوك ، ولا أبغضوا عليا وحسنا منذ أحبوهما ، ما نزل عليهم فى ذلك غير من السماء ، وإن السيوف التى شهروها عليك مع علّى يوم صفين لعلى عواتقهم ، والقلوب التى أبغضوك بها لبين جوانحهم ، وايم اللّه إن الحسن لأحبّ إلى أهل العراق من علّى " .

---

(١) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ١ ص ١٦٩ .

(٢) نفسه ، ١ ص ١٧٠ .

ما قاله عبد الرحمن بن عثمان ثانية
رداً على كلام الأحنف بن قيس(١)

بعد أن حمد الله وأثنى عليه ، قال :

" أصلح اللّه أمير المؤمنين إن رأى الناس مختلف ، وكثير منهم منحرف ، لا يدعون أحدا إلى رشاد ، ولا يجيبون داعيا إلى سداد ، مجانبون لرأى الخلفاء ، مخالفون لهم فى السنة والقضاء ، وقد وقفت ليزيد في أحسن القضية ، وأرضاها لحمل الرعية ، فإذا خار اللّه لك ، فاعزم ، ثم اقطع قالة الكلام ، فإن يزيد أعظمنا حلما وعلما ، وأوسعنا كنفا ، وخيرنا سلفا ، قد أحكمته التجارب ، وقصدت به سبل المذاهب ، فلا يصرفنك عن بيعته صارف ، ولا يقفن بّك دونها واقف ممن هو شاسع عاص ، ينوص للفتنة كلّ مناص ، لسانه ملتو ، وفى صدره داء دوىّ ، إن قال فشرّقائل ، وإن سكت فدود غائل ، قد عرفت من هم أولئك وما هم عليه لك ، من المجانبة للتوفيق ، والكلف للتفريق ، فأجل ببيعته عنا الغمة ، واجمع به شمل الأمة ، فلا تحد عنه إذا هديت له ، ولا تنشّ عنه إذا وقفت له ، فإن ذلك الرأى لنا ولك ، والحق علينا وعليك ، أسأل اللّه العون وحسن العاقبة لنا ولك بمنه " .

ما قاله معاوية بن أبى سفيان (٢)

" أيها الناس ، إن لإبليس من الناس إخوانا وخلانا بهم يستعدّ ، وإياهم يستعين ، وعلى ألسنتهم ينطق ، إن رجوا طمعا أوجفوا ، وإن استغنى عنهم أرجفوا ، ثم يلحقون الفتن بالفجور ، ويشققون لها حطب النفاق ، عيابون مرتابون ، إن ولوا عروة أمر حنقوا ، وإن دعوا إلي غىّ أسرفوا ، وليسوا أولئك بمنتهين ولا بمقلعين ولا متعظين ، حتى تصيبهم صواعق خزى وبيل ، وتحلّ بهم قوارع أمر جليل ، تجتثّ أصولهم كاجتثاث أصول الفقع ، فأولى لأولئك ثم أولى ، فإنا قد قدّمنا وأنذرنا إن أغنى التقدّم شيئا أو نفع النذر " .

---

(١) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ١ ص ١٧٠ - ١٧١ .

(٢) نفسه ، ١ ص ١٧١ .

ما رد به الأحنف بن قيس على قول معاوية (١)

" يا أمير المؤمنين ، أنت أعلمنا بليله ونهاره ، وبسرّه وعلانيته ، فإن كنت تعلم أنه خير لك فولّه واستخلفه ، وإن كنت تعلم أنه شرّ لك ، فلا تزوّد ه الدنيا وأنت صائر إلى الآخرة ، فإنه ليس لك من الآخرة إلا ما طاب ، واعلم أنه لا حجة لك عند اللّه إن قدّمت يزيد على الحسن والحسين ، وأنت تعلم من هما ، وإلى ما هما ، وإنما علينا أن نقول : (سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) .

---

(١) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ١ ص ١٧١ ، وقارنه بما ورد فى :
ابن الأثير ، الكامل ، ٣ ص ٢٥١ ، النو يرى ، نهاية الأرب ، ٢٠ ص ٣٥٤ .

ملحق رقم (٤)

ما خاوض فيه معاوية عبادلة قريش حين قدم إلى المدينة عام ٥٠ هـ (١)

تكلم معاوية ، فقال : الحمد للّه الذى أمرنا بحمده ، ووعدنا عليه ثوابه ، نحمده كثيرا ، كما أنعم علينا كثيرا ، وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله . أما بعد ، فإني قد كبر سنى ، ووهن عظمى ، وقرب أجلى ، وأوشكت أن أدعى فأجيب ، وقد رأيت أن أستخلف عليكم بعدى يزيد ، ورأيته لكم رضا ، وأنتم عبادلة قريش وخيارها ، وأبناء خيارها ، ولم يمنعنى أن أحضر حسنا وحسينا إلا أنهما أولاد أبيهما علىّ ، على حسن رأيى فيهما ، وشديد محبتى لهما ، فردّوا على أمير المؤمنين خيرا ، رحمكم اللّه .

ما رد به عبد اللّه بن عباس (٢)

الحمد للّه الذى ألهمنا أن نحمده ، واستوجب علينا الشكر على آلائه ، وحسن بلائه ، وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وصلى اللّ على محمد وآل محمد : أما بعد ، فإنك قد تكلمت فأنصتنا ، وقلت فسمعنا ، وإن اللّه جلّ ثناؤه وتقدست أسماؤه ، اختار محمدا صلى اللّه عليه وسلم لرسالته ، واختاره لوحيه ، وشرفه على خلقه ، فأشرف الناس من تشرّف به ، وأولاهم بالأمر أخصهم به ، وإنما على الأمة التسليم لنبيها ، إذ اختاره اللّه لها ، فإنه إنما اختار محمدا بعلمه ، وهو العليم الخبير ، وأستغفر اللّه لى ولكم .

---

(١) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ١ ص ١٧٢ .

(٢) نفسه ، ١ ص ١٧٢ .

ما تكلم به عبد الله بن جعفر (١)

الحمد لله أهل الحمد ومنتهاه ، نحمده على إلهامنا حمده ، ونرغب إليه فى تأدية حقه ، وأشهد أن لا إله إلا الله واحدا صمدا ، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، وأن محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وسلم : أما بعد ، فإن هذه الخلافة إن أخذ فيها بالقرآن ، فأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ، وإن أخذ فيها بسنة رسول الله ، فأولو رسول الله ، وإن أخذ فيها بسنة الشيخين أبى بكروعمر ، فأىّ الناس أفضل وأكمل وأحقّ بهذا الأمر من آل الرسول ؟ وايم الله لو ولوه بعد نبيهم لوضعوا الأمر موضعه ، لحقه وصدقه ، ولأطيع الرحمن ، وعصى الشيطان ، وما اختلف فى الأمة سيفان ، فاتق الله يا معاوية ، فإنك قد صرت راعيا ، ونحن رعية ، فانظر لرعيتك فإنك مسئول عنها غدا ، وأما ما ذكرت من ابنى عمى ، وتركك أن تحضرهما ، فو الله ما أصبت الحقّ ، ولا يجوز لك ذلك إلا بهما ، وإنك لتعلم أنهما معدن العلم والكرم ، فقل أودع . وأستغفر لى الله ولكم .

ما تكلم به عبد الله بن الزبير (٢)

الحمد لله الذى عرفنا دينه ، وأكرمنا برسوله ، أحمده على ما أبلى وأولى ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله . أما بعد : فإن هذه الخلافة لقريش خاصة ، تتناولها بمآثرها السنية ، وأفعالها المرضية ، مع شرف الآباء ، وكرم الأبناء ، فاتق الله يا معاوية ، وأنصف من نفسك ، فإن هذا عبد الله بن عباس ابن عمّ رسول الله ، وهذا عبد الله بن جعفر ذو الجناحين ابن عمّ رسول الله ، وأنا عبد الله بن الزبير ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلىّ خلف حسنا وحسينا ، وأنت تعلم من هما ، وما هما ، فاتق الله يا معاوية ، وأنت الحاكم بيننا وبين نفسك ، ثم سكت .

---

(١) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ١ ص ١٧٣ .

(٢) نفسه ، ١ ص ١٧٣.

ما تكلم به عبد اللّه بن عمر (١)

الحمد للّه الذى أكرمنا بدينه ، وشرّفنا بنبيه صلى اللّه عليه وسلم ، أما بعد : فإن هذه الخلافة ليست بهر قلية ، ولا قيصروية ، ولا كسروية ، يتوارثها الأبناء عن الآباء ، ولوكان كذلك كنت القائم بها بعد أبى ، فواللّه ما أدخلنى مع الستة من أصحاب الشورى إلا على أن الخلافة ليست شرطا مشروطا ، وإنما هى فى قريش خاصة ، لمن كان لها أهلا ممن ارتضاه المسلمون لأنفسهم ، من كان أتقى وأرضى ، فإن كنت تريد الفتيان من قريش ، فلعمرى إن يزيد من فتيانها ، واعلم أنه لا يغنى عنك من اللّه شيئا .

ما رد به معاوية بن أبى سفيان (٢)

قد قلت وقلتم ، وإنه ذهبت الآباء ، وبقيت الأبناء ، فأبنى أحبّ إلىّ من أبنائهم ، مع أن ابنى إن قاولتموه وجد مقالا ، وإنما كان هذا الأمر لبنى عبد مناف ، لأنهم أهل رسول اللّه ، فلما مضى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، ولىّ الناس أبا بكر وعمر من غير معدن الملك ولا الخلافة ، غير أنهما سارا بسيرة جميلة ، ثم رجع الملك إلى بنى عبد مناف ، فلا يزال فيهم إلى يوم القيامة ، وقد أخرجك اللّه يابن الزبير ، وأنت يابن عمر منها ، فأما ابنا عمى هذان فليسا بخارجين من الرأى إن شاء اللّه .

---

(١) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ١ ص ١٧٤ .

(٢) نفس المكان والصفحة .

ملحق رقم (٥)

ما كتب به سعيد بن العاص والى المدينة
إلى معاوية بن أبى سفيان [(١)]

أما بعد ، فإنك أمرتنى أن أدعو الناس لبيعة يزيد ابن أمير المؤمنين ، وأن أكتب إليك بمن سارع ممن أبطأ ، وإنى أخبرك أن الناس عن ذلك بطاء ، لاسيما أهل البيت من بنى هاشم ، فإنه لم يجبنى منهم أحد ، وبلغنى عنهم ما أكره ، وأما الذى جاهر بعداوته ، وإبائه لهذا الأمر ، فعبد اللّه بن الزبير ، ولست أقوى عليهم إلا بالخيل والرجال ، أو تقدم بنفسك ، فترى رأيك فى ذلك ، والسلام .

---

(١) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ١ ص ١٧٧ .

ملحق رقم (٦)

ما كتب به معاوية بن أبى سفيان إلى عبد الله بن عباس [(١)]

أما بعد ، فقد بلغنى إبطاؤك عن البيعة ليزيد ابن أمير المؤمنين ، وإنى لو قتلتك بعثمان لكان ذلك إلىّ ، لأنك ممن ألب عليه ، وأجلب ، وما معك من أمان فتطمئنّ به ، ولا عهد فتسكن إليه ، فإذا أتاك كتابى هذا ، فاخرج إلى المسجد ، والعن قتلة عثمان ، وبايع عاملى ، فقد أعذرمن أنذر ، وأنت بنفسك أبصر ، والسلام .

وما كتب به إلى عبد اللّه بن جعفر [(٢)]

أما بعد ، فقد عرفت أثرتى إياك على من سواك ، وحسن رأيى فيك وفى أهل بيتك ، وقد أتانى عنك ما أكره ، فإن بايعت تشكر ، وإن تأب تجبر ، والسلام .

وما كتب به إلى الحسين بن على [(٣)]

أما بعد ، فقد انتهت إلىّ منك أمور ، لم أكن أظنك بها ، رغبة عنها ، وإن أحقّ الناس بالوفاء لمن أعطى بيعة من كان مثلك ، فى خطرك وشرفك ومنزلتك التى أنزلك اللّه بها ، فلا تنازع إلى قطيعتك ، واتق اللّه ، ولا تردنّ هذه الأمة فى فتنة ، وانظر لنفسك ودينك وأمة محمد ، ولا يستخفنك الذين لا يوقنون .

---

(١) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ١ ص ١٧٨.

(٢) نفسه ، ١ ص ١٧٩ .

(٣) نفسه ، ١ ص ١٧٩ ، وقارنه بما ورد عند الدينورى ، الأخبار الطوال، ص ٢٢٤-٢٢٥ .

وما كتبه إلى ابن الزبير (١)

رأيت كرام الناس إن كفّ عنهم ... بحلم رأوا فضلا لمن قد تحلما
ولا سيما إن كان عفوا بقدرة ... فذلك أحرى أن يجلّ ويعظما
ولست بذى لوم فتعذر بالذى ... أتاه من الأخلاق من كان ألوما
ولكنّ غشا لست تعرف غيره ... وقد غشّ قبل اليوم إبليس آدما
فما غشّ إلا نفسه فى فعاله ... فأصبح ملعونا وقد كان مكرما
وإنى لأخشى أن أنالك بالذى ... أردت فيجزى الله من كان أظلما

كتاب معاوية إلى سعيد بن العاص واليه على المدينة (٢)

أما بعد ، فقد أتانى كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه من إبطاء الناس عن البيعة ، ولا سيما بنى هاشم ، وما ذكر ابن الزبير ، وقد كتبت إلى رؤسائهم كتبا ، فسلمها إليهم ، وتنجز جواباتها ، وابعث بها إلىّ ، حتى أرى فى ذلك رأيى ، ولتشدّ عزيمتك ، ولتصلب شكيمتك ، وتحسن نيتك ، وعليك بالرفق ، وإياك والخرق ، فإن الرفق رشد ، والخرق نكد ، وانظر حسينا خاصة ، فلا يناله منك مكروه ، فإن له قرابة وحقا عظيما لا ينكره مسلم ولا مسلمة ، وهو ليث عرين ، ولست آمنك إن شاورته أن لا تقوى عليه ، فأما من يرد مع السباع إذا وردت ، ويكنس إذا كنست ، فذلك عبد الله بن الزبير ، فاحذره أشدّ الحذر ، ولا قوّة إلا بالله ، وأنا قادم عليك إن شاء الله والسلام .

---

(١) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ١ ص ١٧٩.
(٢) نفسه ، ١ ص ١٧٨ .

ملحق رقم (٧)

ما أجاب به عبد الله بن عباس
على كتاب معاوية (١)

أما بعد فقد جاءنى كتابك ، وفهمت ما ذكرت ، وأنه ليس معى منك أمان ، وإنه والله ، ما منك يطلب الأمان يا معاوية ، وإنما يطلب الأمان من اللّه ربّ العالمين . وأما قولك فى قتلى ، فو اللّه لو فعلت للقيت اللّه ، ومحمد صلى اللّه عليه وسلم خصمك ، فما إخاله أفلح ولا أنجح من كان رسول اللّه خصمه . وأما ما ذكرت من أنى ممن ألب فى عثمان وأجلب ، فذلك أمر غبت عنه ، ولو حضرته ما نسبت إلىّ شيئا من التأليب عليه ، وايم اللّه ما أرى أحدا غضب لعثمان غضبى ، ولا أعظم أحد قتله إعظامى ، ولو شهدته لنصرته ، أو أموت دونه ، ولقد قلت وتمنيت يوم قتل عثمان : ليت الذى قتل عثمان لقينى فقتلنى معه ، ولا أبقى بعده وأما قولك لى : العن قتلة عثمان ، فلعثمان ولد وخاصة وقرابة ، هم أحقّ بلعنهم منى ، فإن شاءوا أن يلعنوا فليلعنوا ، وإن شاءوا أن يمسكوا فليمسكوا ، والسلام .

ما أجاب به عبد الله بن جعفر
على كتاب معاوية (٢)

أما بعد ، فقد جاءنى كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه من أثرتك إياى على من سواى ، فإن تفعل فبحظك أصبت ، وإن تأب فبنفسك قصرت . وأما ما ذكرت من جبرك إياى على البيعة ليزيد ، فلعمرى لئن أجبرتنى عليها لقد أجبرناك وأباك على الإسلام ، حتى أدخلنا كما كارهين غير طائعين ، والسلام .

ما أجاب به عبد الله بن الزبير
على كتاب معاوية (٣)

ألا سمع اللّه الذى أنا عبده ... فأخزى إله الناس من كان أظلما
وأجرا على اللّه العظيم بحلمه ... وأسرعهم فى الموبقات تقحما
أغرّك أن قالوا حليم بغرّة ... وليس بذى حلم ولكن تحلما
ولو رمت ما إن قد زعمت وجدتنى ... هزبر عرين يترك القرن أكتما
وأقسم لولا بيعة لك لم أكن ... لأنقضها لم تنج منى مسلما

---

(١) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ١ ص ١٧٩ - ١٨٠ .

(٢) نفسه ، ١ ص ١٨٠ .

(٣) نفسه ، ١ ص ١٨٠ .

ما أجاب به الحسين بن عليّ
على كتاب معاوية (١)

أما بعد ، فقد جاءني كتابك تذكر فيه أنه انتهت إليك عني أمور ، لم تكن تظنني بها ، رغبة بي عنها ، وإن الحسنات لا يهدى لها ، ولا يسدّد إليها إلا الله تعالى ، وأما ما ذكرت أنه رقى إليك عني ، فإنما رقاه الملاقون ، المشاءون بالنميمة ، المفرّقون بين الجمع ، وكذب الغاوون المارقون ، ما أردت حربا ولا خلافا ، وإني لأخشى الله في ترك ذلك ، منك ومن حزبك ، القاسطين المحلين ، حزب الظالم ، وأعوان الشيطان الرجيم . ألست قاتل حجر ، وأصحابه العابدين المخبتين ، الذين كانوا يستفظعون البدع ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، فقتلتهم ظلماً وعدوانا ، من بعد ما أعطيتهم المواثيق الغليظة ، والعهود المؤكدة ، جراءة على الله واستخفافا بعهده ، أو لست بقاتل عمرو بن الحمق ، الذي أخلقت وأبلت وجهه العبادة ، فقتلته من بعد ما أعطيته من العهود ما لو فهمته العصم نزلت من شعف الجبال ، أو لست المدعّى زيادا في الإسلام ، فزعمت أنه ابن أبي سفيان ، وقد قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الولد للفراش ، وللعاهر الحجر ، ثم سلطته على أهل الإسلام ، يقتلهم ويقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، ويصلبهم على جذوع النخل ، سبحان الله يا معاوية ، لكأنك لست من هذه الأمة ، وليسوا منك . أو لست قاتل الحضرميّ الذي كتب إليك فيه زياد أنه على دين عليّ كرّم الله وجهه ، ودين علّي هو دين ابن عمه صلي الله عليه وسلم ، الذي أجلسك مجلسك الذي أنت فيه ، ولولا ذلك كان أفضل شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين : رحلة الشتاء والصيف ، فوضعها الله عنكم بنا ، منة عليكم ، وقلت فيما قلت : لا تردّ هذه الأمة في فتنة ، وإني لا أعلم لها فتنة أعظم من إمارتك عليها ، وقلت فيما قلت : انظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد ، وإني والله ما أعرف أفضل من جهادك ، فإن أفعل فإنه قربة إلى ربي ،وإن لم أفعله فأستغفر الله لديني ، وأسأله التوفيق لما يحبّ ويرضى ، وقلت فيما قلت : متى تكدني أكدك ، فكدني يا معاوية فيما بدا لك ، فلعمري لقديما يكاد الصالحون ، وإني لأرجو أن لا تضرّ إلا نفسك ، ولا تمحق إلا عملك ، فكدني ما بدا لك ، واتق الله يا معاوية ، واعلم أن لله كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، واعلم أن الله ليس بناس لك قتلك بالظنة ، وأخذك بالتهمة ، وإمارتك صبيا يشرب الشراب ، ويلعب بالكلاب ، ما أراك إلا وقد أوبقت نفسك ، وأهلكت دينك ، وأضعت الرعية ، والسلام .

---

(١) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ١ ص ١٨٠ -١٨١ .

ملحق رقم (٨)

نص ما دار بين معاوية وبين زعماء المدينة
في اليوم الأول من لقاء معاوية بالسيدة عائشة (١)

فأرسل (معاوية) إلي الحسين بن على ، فخلا به ، فقال له : يابن أخى ، قد استوثق الناس لهذا الأمر ، غير خمسة نفر من قريش ، أنت تقودهم يابن أخى ، فما أربك إلى الخلاف ؟ قال الحسين : أرسل إليهم ، فإن بايعوك كنت رجلا منهم ، وإلا لم تكن عجلت علىّ بأمر . قال : وتفعل ؟ قال : نعم ، قال : فأخذ عليه أن لا يخبر بحدثيهما أحدا ، فخرج ، وقد أقعد له ابن الزبير رجلا بالطريق ، فقال يقول لك أخوك ابن الزبير : ما كان ؟ فلم يزل به حتى استخرج منه شيئا .

قال : ثم أرسل معاوية بعده إلى ابن الزبير ، فخلا به . فقال له : قد استوثق الناس لهذا الأمر ، غير خمسة نفر من قريش أنت تقودهم ، يابن أخى ، فما أربك إلى الخلاف ؟ قال : فأرسل إليهم ، فإن بايعوك كنت رجلا منهم ، وإلا لم تكن عجلت علىّ بأمر . قال : وتفعل ؟ قال : نعم . فأخذ عليه أن لا يخبر بحديثهما أحدا .

قال : فأرسل بعده إلى ابن عمر ، فأتاه وخلا به ، فكلمه بكلام هو ألين من صاحبيه وقال : إنى كرهت أن أدع أمة محمد بعدى كالضأن لا راعى لها ، وقد استوثق الناس لهذا الأمر غير خمسة نفر أنت تقودهم ، فما أربك إلى الخلاف ؟ قال ابن عمر : هل لك فى أمر تحقن به الدماء وتدرك به حاجتك ؟ فقال معاوية : وددت ذلك ، فقال ابن عمر : تبرز سريرك ، ثم أجىء فأبايعك ، على أنى بعدك أدخل فيما اجتمعت عليه الأمة ، فوالله لو أن الأمة اجتمعت بعدك على عبد حبشىّ لدخلت فيما تدخل فيه الأمة . قال : وتفعل ؟ قال نعم . ثم خرج .

وأرسل إلى عبد الرحمن بن أبى بكر ، فخلا به . قال : بأىّ يد أو رجل تقدم على معصيتى ؟ فقال عبد الرحمن : أرجو أن يكون ذلك خيرا لى ، فقال معاوية : والله لقد هممت أن أقتلك ، فقال : لو فعلت لأتبعك الله فى الدنيا ، ولأدخلك به فى الآخرة النار ، قال : ثم خرج عبد الرحمن ابن أبى بكر .

---

(١) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ١ ص ١٨٣ -١٨٤ .

ملحق رقم (٩)

نص ما دار من مناقشات بين معاوية وبين زعماء المدينه في اليوم الثاني من لقائه بالسيدة عائشة (١)

فلما كان صبيحة اليوم الثاني ، أمر(معاوية) بفراش فوضع له ، وسوّيت مقاعد الخاصة حوله وتلقاءه من أهله ، ثم خرج وعليه حلة يمانية ، وعمامة دكناء ، وقد أسبل طرفها بين كتفيه ، وقد تغلى وتعطر ، فقعد على سريره ، وأجلس كتابه منه بحيث يسمعون ما يأمر به ، وأمر حاجبه أن لا يأذن لأحد من الناس ، وإن قرب .ثم أرسل إلى الحسين بن عليّ ، وعبد اللّه بن عباس ، فسبق ابن عباس ، فلما دخل وسلم أقعده في الفراش عن يساره ، فحادثه مليا ، ثم قال يابن عباس ، لقد وفر اللّه حظكم من مجاورة هذا القبر الشريف ، ودار الرسول عليه الصلاة والسلام .
فقال ابن عباس : نعم أصلح اللّه أمير المؤمنين ، وحظنا من القناعة بالبعض ، والتجافى عن الكل أوفر ، فجعل معاوية يحدّثه ويحيد به عن طريق المجاوبة ، ويعدل إلى ذكر الأعمار على اختلاف الغرائز والطبائع ، حتى أقبل الحسين بن عليّ ، فلما رآه معاوية جمع له وسادة كانت على يمينه ، فدخل الحسين وسلم ، فأشار إليه ، فأجلسه عن يمينه مكان الوسادة ، فسأله معاوية عن حال بنى أخيه الحسن وأسنانهم ، فأخبره ، ثم سكت . قال : ثم ابتدأ معاوية فقال : أما بعد ، فالحمد للّه ولىّ النعم ، ومنزل النقم ، وأشهد أن لا إله إلا اللّه المتعالى عما يقول الملحدون علّوا كبيرا ، وأن محمدا عبده المختص المبعوث إلى الجنّ والإنس كافة ، لينذرهم بقرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، فأدّى عن اللّه ، وصدع بأمره ، وصبر على الأذى فى جنبه ، حتى وضح دين اللّه ، وعزّ أولياؤه ، وقمع المشركون ، وظهر أمر اللّه وهم كارهون ، فمضى صلوات اللّه عليه ، وقد ترك من الدنيا ما بذل له ، واختار منها الترك لما سخر له ، زهادة واختيارا للّه ، وأنفة واقتدارا على الصبر ، بغيا لما يدوم ويبقى ، فهذه صفة الرسول صلى اللّه عليه وسلم ، ثم خلفه رجلان محفوظان ، وثالث مشكور ، وبين ذلك خوض طال ما عالجناه مشاهدة ومكافحة ومعاينة وسماعا ، وما أعلم منه فوق ما تعلمان ، وقد كان من أمر يزيد ما سبقتم إليه وإلى تجويزه ، وقد علم اللّه ما أحاول به فى أمر الرعية ، من سدّ الخلل ، ولمّ الصدع بولاية يزيد بما أيقظ العين ، وأحمد الفعل ، هذا معناى فى يزيد ، وفيكما فضل القرابة ، وحظوة العلم ، وكمال المروءة ، وقد أصبت من ذلك عند يزيد على المناظرة والمقابلة ، ما أعيانى مثله عند كما ، وعند غيركما ، مع علمه بالسنة ، وقراءة القرآن ، والحلم الذى يرجح بالصمّ الصلاب ، وقد علمتما أن الرسول المحفوظ بعصمة الرسالة ، قدّم على الصديق والفاروق ، ومن دونهما من أكابر الصحابة ، وأوائلى المهاجرين .يوم غزوة السلاسل ، من لم يقارب القوم ولم

---

(١) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ١ ص ١٨٤ - ١٨٨ .

يعاندهم برتبة فى قرابة موصولة ، ولا سنة مذكورة ، فقادهم الرجل بأمره ، وجمع بهم صلاتهم ، وحفظ عليهم فيئهم ، وقال فلم يقل معه ، وفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة . فمهلا بنى عبد المطلب ، فأنا وأنتم شعبا نفع وجد ، ومازلت أرجو الإنصاف فى اجتماعكما ، فما يقول القائل إلا بفضل قولكما فردا على ذى رحم مستعتب ما يحمد به البصيرة فى عتابكما ، وأستغفر الله لى ولكما .

قال : فتيسر ابن عباس للكلام ، ونصب يده للمخاطبة ، فأشار إليه الحسين وقال : على رسلك ، فأنا المراد ، ونصيبى فى التهمة أوفر ، فأمسك ابن عباس ، فقام الحسين ، فحمد الله ، وصلى على الرسول ، ثم قال : أما بعد يا معاوية ، فلن يؤدّى القائل ، وإن أطنب فى صفة الرسول صلى الله عليه وسلم من جميع جزءا وقد فهمت ما لبست به الخلف بعد رسول الله من إيجاز الصفة والتنكب عن استبلاغ النعت ، وهيهات يا معاوية : فضح الصبح فحمة الدجى ، وبهرت الشمس أنوار السرج ، ولقد فضلت حتى أفرطت ، واستأثرت حتى أجحفت ، ومنعت حتى محلت ، وجزت حتى جاوزت ما بذلت لذى حقّ من اسم حقه بنصيب ، حتى أخذ الشيطان حظه الأوفر ، ونصيبه الأكمل وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله ، وسياسته لأمة محمد ، تريد أن توهم الناس فى يزيد ، كأنك تصف محجوبا ، أو تنعت غائبا ، أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاصّ ، وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه ، فخذ ليزيد فيما أخذ فيه ، من استقرائه الكلاب المهارشة عند التهارش ، والحمام السبق لأترابهن والقيان ذوات المعازف ، وضرب الملاهى تجده باصرا ، ودع عنك ما تحاول ، فما أغناك أن تلقى الله من وزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقيه ، فوالله ما برحت تقدح باطلا فى جور ، وحنقا فى ظلم ، حتى ملأت الأسقية ، وما بينك وبين الموت إلا غمضة ، فتقدّم على عمل محفوظ ، فى يوم مشهود ، ولات حين مناص ، ورأيتك عرضت بنا بعد هذا الأمر ، ومنعتنا عن آبائنا تراثا ، ولقد لعمر الله أورثنا الرسول عليه الصلاة والسلام ولادة ، وجئت لنا بها ما حججتم به القائم عن عند موت الرسول ، فأذعن للحجة بذلك ، ورده الإيمان إلى النصف ، فركبتم الأعاليل ، وفعلتم الأفاعيل ، وقلتم كان ويكون ، حتى أتاك الأمر يا معاوية من طريق كان قصدها لغيرك ، فهناك فاعتبروا يا أولى الأبصار . وذكرت قيادة الرجل القوم بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتأميره له ، وقد كان ذلك ، ولعمرو بن العاص يومئذ فضيلة بصحبة الرسول ، وبيعته له ، وما صار لعمر الله يومئذ مبعثهم حتى أنف القوم إمرته ، وكرهوا تقديمه ، وعدوا عليه أفعاله ، فقال صلى الله عليه وسلم : لا جرم معشر المهاجرين ، لا يعمل عليكم بعد اليوم غيرى . فكيف تحتجّ بالمنسوخ من فعل الرسول ، فى أوْكد الأحكام ، وأولاها

بالمجتمع عليه من الصواب ، أم كيف صاحبت بصاحب تابعا ، وحولك من لا يؤمن في صحبته ، ولا يعتمد فى دينه وقرابته ، وتتخطاهم إلى مسرف مفتون ، تريد أن تلبس الناس شبهة يسعد بها الباقى فى دنياه ، وتشقى بها فى آخرتك . إن هذا لهو الخسران المبين . وأستغفر اللّه لى ولكم .

قال : فنظر معاوية إلى ابن عباس فقال : ما هذا يابن عباس ؟ ولما عندك أدهى وأمرّ . فقال ابن عباس : لعمر اللّه إنها لذرية الرسول ، وأحد أصحاب الكساء ، وفى البيت المطهر فاله عما تريد ، فإن لك فى الناس مقنعا ، حتى يحكم اللّه بأمره وهو خير الحاكمين . فقال معاوية : أعود الحلم التحلم ، قال : وخيره التحلم عن الأهل . انصرفا فى حفظ اللّه .

ثم أرسل معاوية إلى عبد الرحمن بن أبى بكر ، وإلى عبد اللّه بن عمر ، وإلى عبد اللّه بن الزبير ، فجلسوا ، فحمد اللّه وأثنى عليه معاوية ثم قال : ياعبد اللّه بن عمر ، قد كنت تحدثنا أنك لا تحبّ أن تبيت ليلة وليس فى عنقك بيعة جماعة ، وأن لك الدنيا وما فيها ، وإنى أحذّرك أن تشقّ عصا المسلمين ، وتسعى فى تفريق ملئهم ، وأن تسفك دماءهم ، وإن أمر يزيد قد كان قضاء من القضاء ، وليس للعباد خيرة من أمرهم ، وقد وكد الناس بيعتهم فى أعناقهم ، وأعطوا على ذلك عهودهم ومواثيقهم ، ثم سكت .

فتكلم عبد اللّه بن عمر ، فحمد اللّه وأثنى عليه . ثم قال : أما بعد يا معاوية، لقد كانت قبلك خلفاء ، وكان لهم بنون ، ليس ابنك بخير من أبنائهم ، فلم يروا فى أبنائهم ما رأيت فى ابنك ، فلم يحابوا فى هذا الأمر أحدا ، ولكن اختاروا لهذه الأمة حيث علموهم ، وإنك تحذرنى أن أشقّ عصا المسلمين ، وأفرّق ملأهم ، وأسفك دماءهم ، ولم أكن لأفعل ذلك إن شاء اللّه ، ولكن إن استقام الناس فسأدخل فى صالح ما تدخل فيه أمة محمد . فقال معاوية : يرحمك اللّه ليس عندك خلاف . ثم قال معاوية لعبد الرحمن بن أبى بكر نحو ما قاله لعبد اللّه بن عمر . فقال له عبد الرحمن : إنك واللّه لوددت أنا نكلك إلى اللّه فيما جسرت عليه من أمر يزيد ، والذى نفسى بيده لنجعلنها شورى ، أو لأعيدنها جذعة ، ثم قام ليخرج ، فتعلق معاوية بطرف ردائه . ثم قال : على رسلك ، اللهم اكفنيه بما شئت ، ثم قال له : لا تظهرن ّ لأهل الشام ، فإنى أخشى عليك منهم . ثم قال لابن الزبير نحو ما

قاله لابن عمر . ثم قال له : أنت ثعلب روّاغ كلما خرجت من جحر انجحرت فى آخر ، أنت ألبت هذين الرجلين ، وأخرجتهما إلى ما خرجا إليه . فقال ابن الزبير : أتريد أن تبايع ليزيد ، أرأيت إن بايعناه أيكما نطيع ؟ أنطيعك أم نطيعه ؟ إن كنت مللت الخلافة فاخرج منها وبايع ليزيد ، فنحن نبايعه ، فكثر كلامه وكلام ابن الزبير ، حتى قال له معاوية فى بعض كلامه : واللّه ما أراك إلا قاتلا نفسك ، ولكأنى بك قد تخبطت فى الحبالة . ثم أمرهم بالإنصراف ، واحتجب عن الناس ثلاثة أيام لا يخرج .

ملحق رقم (١٠)
وصية معاوية بن أبى سفيان
لابنـــه يزيـــد (١)

يابنى إنى قد كفيتك الشد والترحال ووطأت لك الأمور وذللت لك الأعداء وأخضعت لك رقاب العرب وجمعت لك مالم يجمعه أحد فأنظر أهل الحجاز فإنهم أصلك وأكرم من قدم عليك منهم وتعاهد من غاب وأنظر أهل العراق فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملا فافعل فان عزل عامل أيسر من أن يشهر عليك مائة ألف سيف ، وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك فان رابك من عدوك شىء فأنتصر بهم فاذا أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم تغيرت أخلاقهم ، وإنى لست أخاف عليك أن ينازعك فى هذا الأمر إلا أربعة نفر من قريش . الحسين بن على . وعبد اللّه بن عمر . وعبد اللّه بن الزبير . وعبد الرحمن ابن أبى بكر . فأما ابن عمر فأنه رجل قد وقذته العبادة فاذا لم يبق أحد غيره بايعك ، وأما الحسين بن على فهو رجل خفيف ولن يتركه أهل العراق حتى يخرجوه فإن خرج وظفرت به فاصفح عنه فان له رحما ماسة وحقا عظيما وقرابة من محمد صلى الله عليه وسلم ، وأما ابن أبى بكر فإن رأى أصحابه صنعوا شيئا صنع مثله ليس له همة إلا فى النساء واللهو . وأما الذى يجثم لك جثوم الأسد ويراوغك مراوغة الثعلب فإن أمكنته فرصة وثب فذاك ابن الزبير فإن هو فعلها بك فظفرت به فقطعه إربا إربا واحقن دماء قومك ما استطعت .

---

(١) ابن الأثير ، الكامل ، ٣ ص ٣٥٩-٣٦٠. وقارنها بما ورد عند النويرى ، نهاية ، ٢٠ ص ٣٦٥ - ٣٦٦ ، ابن طباطبا ، الفخرى ، ١١١-١١٢ ، الدينورى ، الأخبار ، ٢٢٥ - ٢٢٦ ، الطبرى ، تاريخ ، ٥ ص ٣٢٢ ، ٣٢٣ .

المصادر والمراجع

- ابن الأثير (أبو الحسن على بن أبى الكرم ...) ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٨م .
الكامل فى التاريخ ، ج ٢ ، ٣ ط ٣ ، دار الكتب العربى ببيروت ١٩٨٠م .
- الآمدى (سيف الدين) ٥٥١ - ٦٣١ هـ .
الإمامة من أبكار الأفكار فى أصول الدين ، دراسة وتحقيق محمد الزبيدى ، ط، دار الكتاب العربي ١٤١٢هـ / ١٩٩٢ م .
- البخارى (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل) ١٩٤- ٢٥٦ هـ .
صحيح البخارى ، تقديم الشيخ أحمد محمد شاكر ، ٩أجزاء ، دار الجيل ببيروت ، بدون تاريخ .
- البلاذرى (أحمد يحيى) ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢ م .
أنساب الأشراف ، تحقيق محمد حميد الله ، مجموعة ذخائر العرب ٢٧ ، ف دار المعارف بمصر ، بدون تاريخ .
- ابن حزم (أبو محمد على بن أحمد)
الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، ج ٤ ، ط٢ ، دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت ١٣٩٥هـ .
- حسن (حسن إبراهيم) .
تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والإجتماعى ، ج ١ ، ط ٧ ، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٦٤ م .
- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م .
المقدمة ، دار الشعب بالقاهرة ، بدون تاريخ .
- الدميجى (عبد الله بن عمر) .
الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة ، ط ٢ ، دار طيبة بالرياض ١٤٠٩هـ .
- الدينورى (أبو حنيفة أحمد بن داود) ت ٢٨٢/٨٩٥ م .
الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر ، تراثنا ، مكتبة المثنى ببغداد ١٩٥٩ م .
- الذهبى (محمد بن أحمد بن عثمان) ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م .
السيرة النبوية ، تحقيق حسام الدين القدسى ، ط ٢، دار الكتب العلمية ببيروت ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨ م .
- الريس (محمد ضياء الدين).
النظريات السياسية الإسلامية ،ط٧، مكتبة دار التراث بالقاهرة ١٩٧٩م .
- السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن) ت ٩١١هـ / ١٥٠٥ م .
تاريخ الخلفاء ، ط ٤ ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .

- الشهر ستانى (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ...) ت ٥٤٨ هـ/١١٥٣م .
الملل والنحـل ، تحقيق محمد سـيد كيلانى ، جزءان ، دار المعرفة ببيروت ١٩٦١م .
- ابن طباطبا (محمد بن على) ت ٧٠٩ هـ/١٣٠٩ م .
الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
- الطـبرى (أبو جعفر محمد بن جرير) ٣١٠ هـ/٩٢٣ م .
تاريخ الرسـل والملـوك ، تحقيق محمـد أبو الفضل إبراهيـم ، ج ٣ ، ٤ ، ٥ (طبعات ٣ ، ٤ ، ٥ على التوالي) دار المعارف مصر .
- ابن العربي (أبو بكر محمد بن عبد الله) ٤٦٨ - ٥٤٣ هـ .
العواصم من القواصم فى تحقيق مواقف الصحابة بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم ، حققه وعلق حواشيه محب الدين الخطيب ، دار المعرفة ببيروت ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩ م .
- عمـــر(فاروق) .
النظم الإسلامية ، العين ١٩٨٣ .
- غودفروا ، النظم الإسلامية ، نقله إلى العربية فيصل السامر وصالح الشماع ، دار النشر للجامعيين .
- الفـراء (أبو علي محمد بن الحسين) ت ٤٥٨ هـ .
الأحكام السلطانية ، تحقيق محمد حامد الفقى ، دار الكتب العلمية ببيروت ١٤٠٣ هـ /١٩٨٣ م .
- ابن قتيبة (أبو محمد بن عبد الله بن مسلم) ت ٢٧٦ هـ/٨٩٩ م .
أ- الإمامة والسياسة ، جزءان ، الطبعة الأخيرة ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩ م .
ب - عيون الأخبار ، ٤ أجزاء فى مجلدين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م .
- ابن كثير (أبو الفداء اسماعيل) ٧٠١ - ٧٧٤ هـ .
أ- السيرة النبوية ، ج ٣ ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، القاهرة ١٩٦٥ م .
ب - البداية والنهاية ، الجزءان السابع والثامن ، دار ابن كثير ، بيروت لبنان ، بدون تاريخ .
- الماوردى (على بن محمد) ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٧ م .
الأحكام السلطانية والولايات المدنية ، تعليق خالد عبد اللطيف السبع العلمى ، دار الكتاب العربي ببيروت ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .

- المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين بن علي) ت ٣٤٦هـ .
أ - التنبية والاشراف ، ليدن ١٨٩٣ هـ .
ب - مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد ، ج ٢ ط ٥ ، ج ٣ ط ٤ ، دار الفكر ١٩٧٣م ، ١٩٦٤ م .
- النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ٦٧٧ -٧٣٣هـ .
نهاية الأرب فى فنون الأدب ، ج ١٩ تحقيق محمد أبو الفضل ، ج ٢٠ تحقيق محمد رفعت فتح الله ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ م .
- ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب) .
سيرة النبى ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، ٤ أجزاء ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- الهيتمى (أحمد بن حجر) ت ٩٧٤ هـ .
الصواعق المحرقة فى الرد على أهل البدع والزندقة ويليه كتاب تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوه بثب سيدنا معاوية بن أبى سفيان ، تقديم عبد الوهاب عبد اللطيف ، مكتبة القاهرة بميدان الأزهر بمصر ، بدون تاريخ .
- الواقدى (محمد بن عمر) ت ٢٠٧ هـ / ٨٨٢هـ .
كتاب المغازى ، تحقيق مارسدن جونس ، ج٢ ، عالم الكتب ببيروت ، بدون تاريخ .
- اليعقوبى (ابن واضح الكاتب) ت ٢٨٢هـ / ٨٩٥م .
تاريخ اليعقوبى ، ج ٢ ، دار صادر ببيروت ١٤١٢هـ / ١٩٩٢ م .

١٣٠
٤٠

٩٠